الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص:أدب عربي حديث ومعاصر
رمز المذكرة: 35/017/أع

المـــــوضـــوع:

بنية الشّخصية في القصص القرآني
قصة يوسف عليه السلام- أنموذجا-

إعداد الطالب (ة): بلملياني أسماء إشـــراف: أ.الدكتورقايد سليمان مراد

لجنة المناقشة		
أ.الدكتور	طالب احمد	رئيسا
أ.الدكتور	العرابي لخضر	ممتحنا
أ.الدكتور	قايد سليمان مراد	مشرفا مقررا

العام الجامعي : 1438 -1939هـ /2017-2018م

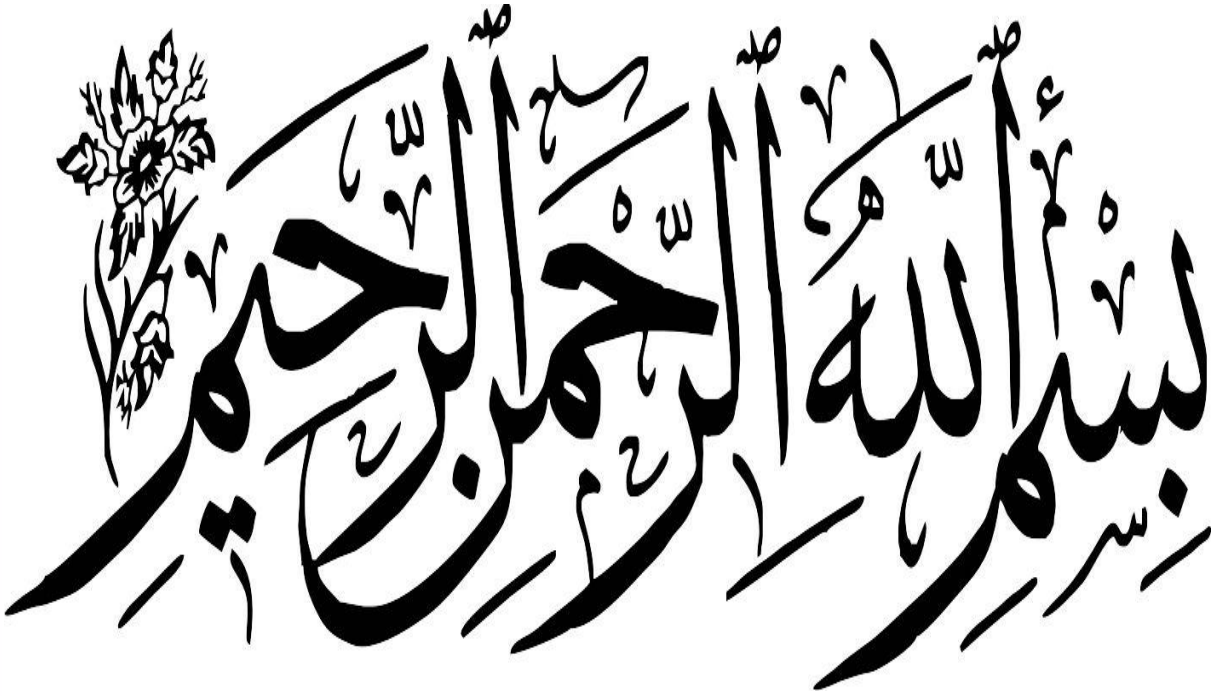
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء:

أهدي ثمرة هذا العمل إلى:

والدي الحبيبين وأسأل الله لهما العافية والصّحة على دعمهما ودعواهما

ركيزة العائلة: جدّتي أطال الله في عمرها

أختي ورفيقة دربي: أمينة وابنها ياسر وزوجها

أعز وأغلى ما أملك أخي أحمد

كل عائلة "بلمليايي" من صغيرها إلى كبيرها

كلّ زملائي وزميلاتي وكلّ من جمعتني بهم الدّراسة والحياة

كل من مدّ لي يد العون من قريب أو بعيد

وإلى كلّ من يتصفّح هذه المذكّرة

شكر و تقدير:

الشكر والحمد الأوّل إلى الذي يعطي فلا يبخل، ويمنح دون أن يسأل...إلى ربّ الكون المبجل الذي أتمّ علينا نعمته وعظيم فضله ومنحنا القدرة والصّبر على إنجاز هذا العمل المتواضع

الشكر والامتنان إلى الأستاذ المشرف "قايد سليمان" فقد سعدت بتوجيهاته التي ساعدتني في إكمال رسالتي

ولا يفوتني أن أشكر أستاذيّ الكريمين: "الأستاذ الدكتور العرابي لخضر، والأستاذ الدكتور أحمد طالب" الذين تفضّلا بقبول مناقشة الرسالة وعلى ما سيقدّمانه لي من نصائح وتوجيهات

وأشكر كل من أسهم في إعداد هذه الرّسالة بكلّ جهد شارك فيه قلّ أو كثُر

ولله الحمد والشّكر في الأوّل والأخير....

مقدّمة

مقدّمة:

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله، والصّلاة والسّلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بهداه، وبعد:

إنّ من يقرأ القرآن الكريم بتدبّر لا ينفكّ متأمّلا آيات الله تعالى، وملتمسا جواهر معانيه، فعجائبه لا تنقضي، ومداد أبحره لا تنفذ، كيف لا وهو كلام الله العزيز، إذ نجد في القرآن حلاوة لا نظير لها، لاسيما في قصصه، فالذي يتتبّع القصص القرآني يجد أنّ أحداثه كلّها تدور في محيط الدّعوة إلى الله وإلى تحرير العقيدة وتصفيتها من العبودية لغير الله، ويقوم العمل القصصي على محورين: الشّخصيّة، والحدث، بمعنى أن تكون الشّخصيّة هي الفلك التي تدور حوله الأحداث، أو أن تكون الأحداث هي المركز الذي تدور في دائرته الشّخصيات، ونلاحظ في القصص القرآني تدبيرا عجيبا معجزا في توزيع المشاهد القصصية توزيعا محكما متوازنا بين الحدث والشخصية لذلك كانت دعوات الأنبياء هي الشخصية الغالبة في القصص القرآني، بحيث ساغ أن يسمّى القصص القرآني باسم صاحب الدّعوة، فيقال قصّة يوسف وقصّة موسى وغيرهما...، فجاء عنوان هذه المذكّرة كالآتي: "بنية الشّخصية في القصص القرآني—قصّة يوسف عليه السلام أنموذجا". فالملاحظ أنّ الشّخصية هي مناط القصّة ودافعها الأصلي، فكان لابدّ من البحث في بنية هذه الشّخصيّة في قصص القرآن.

امتزجت أسباب اختيارنا للموضوع بين موضوعية وذاتية وسنوجزها في بعض النقاط:

-الميول الشخصي لمعالجة هذا الموضوع.

-الرّغبة في التّطرّق لدراسة بنية الشّخصيّة في القصص القرآني، ومن ثمّ معرفة أسباب نزول السّورة القرآنية.

-الرّغبة في إثراء البحوث العلمية ببحوث خاصّة بالقصص القرآني، وفتح المجال للتّعمّق أكثر في هذه الدّراسات.

-نقص الدّراسات التي عنت بدراسة بنية الشّخصية في القرآن.

فما جوهر بناء الشّخصية في القصص القرآني؟، وهل شخصية يوسف شخصيّة فعّالة ومجاوبة؟ أم شخصية منغلقة وسطحية؟ وما هي أهمّ التّفاعلات التي أحدثتها شخصية يوسف في القصّة؟ كيف كانت العلاقة بين شخصية يوسف والشّخصيات الأخرى؟ وهل سدّت هذه الشّخصية الثّغرات في الأدب العربي؟.

ومن الصّعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذا البحث هي قلّة المراجع التي تتناول بنية الشّخصيّة القصصية في القرآن.

وعليه، قد جاءت خطّة البحث موزّعة على النّحو التّالي:

*مقدّمة

*الفصل الأوّل: فصل نظري تطرّقنا فيه إلى بنية الشّخصية في القصص القرآني،فتناولت في المبحث الأول بنية الشخصية والذي يتضمّن ثلاثة عناصر:

-مفهوم البنية

-مفهوم الشّخصية

- مفهوم الشخصية في القرآن الكريم

*أمّاالمبحث الثّاني، تمثّل في القصص القرآني، وتضمّن كذلك أربعة عناصر:

-مفهوم القصّة: لغة واصطلاحا

-مفهوم القصّة في القرآن الكريم

-أنواع القصص القرآني

-مقاصد وأغراض القصص القرآني

* أمّا الفصل الثّاني، وهو فصل تطبيقي، تناول شخصية النبي يوسف عليه السّلام في القصص القرآني، وقد تفرّع إلى ثلاثة عناصر والتي تمثّلت في:

-مراحل حياة النّبي يوسف عليه السّلام

*المرحلة الأولى: من الرّؤيا إلى حدث إلقائه في غيابات الجب

*المرحلة الثّانية: من لحظة استرقاقه إلى لحظة دخوله السّجن

*المرحلة الثّالثة: من فترة وجوده في السّجن إلى لحظة تحقّق الرّؤيا

*أمّا الفصل الثّالث تناولنا فيه الشّخصيات الثّانوية في قصّة يوسف عليه السّلام، وقسّمناه إلى عنصرين:

-العنصر الأوّل: تحدّثنا فيه عن الشّخصيات المساعدة:

*شخصية يعقوب عليه السلام

*شخصية ملك مصر

*شخصية ساقي الملك

-العنصر الثاني: تطرقنا فيه إلى الشّخصيات المعارضة

*شخصية إخوة يوسف عليه السّلام

*شخصية زليخا امرأة العزيز

*خاتمة

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي التّحليلي

واستندنا في تحقيق بحثنا هذا إلى مصادر ومراجع متنوّعة نذكر منها: القرآن الكريم أوّلا، كتاب القصص القرآني في منطوقه ومفهومه لعبد الكريم الخطيب، وسيكولوجية القصّة لتهامي نقرة، في ضلال القرآن لسيّد قطب، وسورة يوسف دراسة تحليلية لأحمد نوفل.

ختاما، نسأل الله عز وجلّ أن يلهمنا التّوفيق والسّداد، ونرجو أن نكون قد وفّقنا في إنجاز هذا البحث، وأن يكون هذا العمل إضافة جديدة للبحوث السّابقة في بنية الشّخصية في قصص القرآن، آملين أن يتابع آخرون في مثل هذه الدّراسات.

والله من وراء القصد وهو يهدي السّبيل

عين الكبيرة يوم 25شعبان 1439

الموافق ل12 ماي 2018

الطالبة: بلمليايي أسماء

الفصل الأول:

بنيـة الشّخصيـة في القصص القرآنـي

-إنّ القصة-على اختلاف أنواعها-كانت و لم تزل رفيقة الإنسان في جميع المراحل التاريخية التي مرّ بها، معبّرة عن آماله وآلامه، كاشفة عن نظرته للحياة وفلسفته فيها.

"وقد استطاعت أن تحلّل النفس بمالها من أبعاد متشعّبة تحليلا عميقا، وتبيّن نزعاتها الطارئة في إطار عواطفها، وتحثّ الظروف الخارجية، وتصوّر واقعها في حيرتها واهتدائها، وفرحها وحزنها،وغضبها وهدوئها، وضعفها وقوتها، وحبها وبغضها وتفاؤلها وتشاؤمها، وتصور الحقيقة التي تقوم عليها الحياة من خير وشر، وظلام ونور، وسعادة وشقاء. فهي تربة خصبة في حقل فسيح لإنتاج التجارب الإنسانية التي ينصهر فيها القاصّ ويعانيها، فيقدّمها صادقة في الإحساس، نابضة بالحياة،زاخرة بالفن".[1]

كما أنها تغلغلت في أعماق الدّين، واستخدمت لبثّ العقائد الدينية ونشرها، وحمل الناس على الإيمان بها، من خلال عرضها نماذج لشخصيات قرآنية وإبراز أهم الصفات التي تتمتع بها والكشف عن أبعادها وجوانبها وتحديد معالمها من خلال المواقف والأحداث ، فجوهر بناء الشخصية في القصة القرآنية مرتبط بغاية واحدة وهي تبليغ الرسالة المتمثّلة في وحدة الدين وتوحيد الإله والعمل بمقتضى هذه الرسالة.

[1]-التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1974، ص 9-10

1-بنية الشخصية:

أ-مفهوم البنية:

لغة:"البني: نقيض الهدم، ومنه بَنى البناء، بنيًا وبِنىً وبُنيانًا وبنيةً، والبناء جمعه أبنية وأبنيات جمع الجمع،والبُنية والبنية : مابنيته، وهو البُنى والبِنى، ويقال البنى من الكرم لقول الحطيئة:

"أوْلِئكَ قَوْمٌ، إنْ بَنُوا أحْسَنُوا البُنىَ، وإنْ عَاهَدُوا أوْفُوا، وإنْ عَقَدُوا شَكُّوا.

وقد تكون البناية في الشرف لقول لبيد:

"فبَنَى لنَا بيتًا رفيعًا سُمكهُ فَسَمَا إليه كَهلهَا وغُلامُهَا

ويقال: فلان صحيح البِنية: أي الفطرة، وسمي البناء بناءا من حيث كان البناء لازما موضعا لا يزول من مكان إلى غيره"[1] ومنه فالبناء يعني إقامة شيء ما بحيث يتميّز بالثّبات ولا يتحول إلى غيره.

"والبناء مصدر بنى وهو الأبنية أي البيوت، وتسمى مكونات البيت بوائن جمع بوان وهو اسم كل عمود في البيت، أي التي يقوم عليها البناء"[2] فهذا يعني المكونات التي يقوم عليها البيت، أو الكيفية التي شيّد عليها.

وقد جاء زكريا إبراهيم في كتابه مشكلة البنية "بأن كلمة"structure_" مشتقة من الفعل اللاتيني" struere "بمعنى "يبني" أو "يشيّد". وحين تكون للشيء "بنية "(في اللغات الأوروبية) فإنّ

[1]- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، المجلد01، ج05، مادة(بنى)، ص365

[2]- نورة بنت محمد بن ناصر المري، البنية السردية في الرواية السعودية، رسالة دكتوراه، إشراف: محمد صالح بن جمال بدوي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية ، 2008،ص14

معنى هذا – أولا وقبل كل شيء– أنه ليس بشيء "غير منتظم" أو "عديم الشكل"Amorphe، بل هو موضوع منتظم له صورته الخاصة، ووحدته الذاتية"[1].

وذلك لأن كلمة بنية في أصلها تحمل معنى المجموع والكل المؤلف من ظواهر متماسكة ومنتظمة فيما بينها.

"فالبنية" هي ذلك النظام المتسق الذي تحدد كل أجزائه بمقتضى رابطة تماسك، تجعل من اللغة مجموعة منتظمة من الوحدات أو العلاقات، ويحدد بعضها بعضا على سبيل التبادل"[2]فهي إذن عبارة عن نظام يتكوّن من أجزاء ووحدات متماسكة بحيث يتحدّد كل جزء بعلاقته مع الأجزاء الأخرى.

وتجدر بنا الإشارة إلى أنّ القرآن الكريم استخدم هذا الأصل أكثر من عشرين مرة على صورة الفعل (بنى) أو الأسماء (بناء) و (بنيان) و (مبنى)، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿الذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرضَ فِرَاشًا والسَمَاءَ بِنَاءً وأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُم فَلا تَجْعَلُوا لِلَّه أَنْدَادًا وَأَنْتُم تَعْلَمُونَ﴾[3]وقوله أيضا: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ الله وَرِضْوَانِهِ خَيْرٌ أَم مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَار بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ"[4].

ولكن لم ترد فيه كلمة بنية ولا في النصوص القديمة، "وقد تصوّر اللّغويون العرب مصطلح بنية على أنّه الهيكل الثّابت للشّيء فتحدّث النّحاة عن 'البناء' مقابل الإعراب، ومن هنا جاءت تسميتهم للمبني للمعلوم، والمبني للمجهول"[5]، وأمّا في اللّغات الأوروبية القديمة فاستخدام كلمة بنية يتّسم بالوضوح،حيث كانت تدلّ على الشكل الذي يشيّد به مبنى ما، ثم اتسعت لتشمل معنى

[1]– زكريا ابراهيم، مشكلة البنية، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1990، ص29

[2]– جمال شحيد، في البنيوية التكوينية دراسة في منهج لوسيان غولدمان، دار ابن رشد، بيروت، 1986، ص06

[3]–سورة البقرة، الآية 22

[4]–سورة التوبة، الآية 109

[5]– صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1998، ص122

الطريق التي تتكيّف بها الأجزاء فيما بينها لتكون كلّا متجانسا ،سواء كان هذا الكل جسما حيا، أو معدنيا ، أو

، تركيبة لغوية"[1]. ومن هذا المنطلق نستنتج أن البنية هي كل متماسك.

اصطلاحا:لقد تعدّدت المفاهيم والتعريفات العلمية لهذا المصطلح (البنية) وذلك نتيجة الاختلافات الناجمة عن تمظهرها وتجليها في أشكال متنوعة، فنجد "جان بياجيه" يعرّفها بقوله: "وتبدو البنية، بتقدير أولي، مجموعة تحتوي على قوانين كمجموعة (تقابل خصائص العناصر) تبقى أو تغتني بلعبة التحويلات نفسها، دون أن تتعدى حدودها أو أن تستعين بعناصر خارجية"[2]. وهذه التحويلات تدور في مجرى واحد دون الخروج عن حدود النسق الذي يكتسب من خلالها- التحويلات- ثراء أو تنوّعا. فهو يقدم لنا البنية على أنّها "تتألّف من ميزات ثلاث: الجملة (الكلية)، والتحويلات، والضبط الذاتي"[3]، فالكلية (Totalité): معناها أنّ البنية تتألّف من عناصر داخلية متماسكة بحيث تصبح

كاملة في ذاتها وليست تشكيلا لعناصر متفرقة، فهي تجعل هذه العناصر تخضع لقانون الكل، في العلاقات القائمة بينها رغم تمايزها، فيغدو الكل قائما على خصائص تميّزه عن عناصره"[4].

"أما التحويلات (Transformations) فهي التغييرات التي تحدث داخل البنية وبالتّالي فهي غير ثابتة وإنما هي دائمة التحول تتولّد من داخلها بنى دائمة التّغيّر إذ أنّ كل عنصر هو عنصر بانٍ ومكمّل لغيره". وأما الميزة الثّالثة الأساسية وهي الضبط الذاتيAuto réglage)فهو يعني أنّه في وسع 'البنيات' تنظيم نفسها بنفسها، مما يحفظ لها وحدتها، ويكفل لها المحافظة على بقائها،

[1]- محمد نمرة، التأثيرات الأدبية الغربية في الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض- البنيوية أنموذجا-، إشراف أحمد عزوز، جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف- ،2011، ص14

[2]- جان بياجيه، البنيوية، تر: عارف منيمة وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط4، 1985، ص10

[3]-المرجع نفسه، ص10

[4]- زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة،1990، ص30

ويحقّق لها ضربا من "الانغلاق الذاتي"[1]. وفي هذا الصدد يقول 'عبد الله الغذّامي': "أنّ البنية لا تحتاج إلى سلطان خارجي لتحريكها، والجملة لاتحتاج إلى مقارنتها مع أي وجود عيني خارج مصداقيتها، وإنما هي تعتمد على أنظمتها اللغوية الخاصة بسياقها اللغوي"[2]

ويرى 'ألبير سوبول' في دراسته الموسومة باسم' الحركة الباطنة للبنيات' بتعريف موجز للبنية فيقول: "إنّ مفهوم البنية لهو مفهوم العلاقات الباطنة، الثابتة، المتعلقة وفقا لمبدأ الأولوية المطلقة للكل على الأجزاء، بحيث لا يكون من الممكن فهم أي عنصر من عناصر البنية خارجا عن الوضع الذي يشغله داخل تلك البنية، أعني داخل المنظومة الكلية الشاملة."[3]

ولقد اختلفت مفاهيم البنية باختلاف التوجّهات تاريخيا وفلسفيا ومعرفيا، ولعل تعريف 'أندري لالاند' لها بقوله: "إنّ البنية هي كل مكون من ظواهر متماسكة يتوقف كلّ منها على ما عداه، ولا يمكن أن يكون ما هو إلّا بفضل علاقته بما عداه"[4]، هو تعريف عام ويصدق على جميع أنواع البنيات. ومصطلح البنية هو أهم مصطلح لغوي حديث استعملته البنيوية (structuralisme) التي ظهرت كمنهج نقدي يسير وفق قوانين وآليات خاصة بتحليل النصوص. وكنظرية للمعرفة، تتميز بالحرص الشديد على التزام حدود المنطق والعقلانية"[5]

فمن هذه التعاريف يمكن القول أن 'البنية' تتضمّن جملة من السّمات المميّزة، فهي نسق من التحولات الخارجية، وهي مستقلة بذاتها، بحيث لا تحتاج لأي عنصر خارجي، وهي تتحدّد من خلال بقية العناصر، أو البنى التي يشيّد بعضها بعضا داخل بنية النص.

---

[1]-المرجع نفسه، ص31

[2]- عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية،ط6، المركز الثقافي العربي، المغرب،2006، ص33-34

[3]- عبد الله الغذّامي، الخطيئة والتفكير من البنيوية إلى التشريحية، ص35

[4]- زكريا ابراهيم، مشكلة البنية، ص38

[5]- صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، ص16

ب –مفهوم الشخصية:

يشير المعجم إلى دلالة لفظة (الشخصية) من خلال مادة (ش خ ص) التي تعني سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد، وكل شيء رأيتَ جُسمانه فقد رأيت شخصه. والشَخص هو كل جسم له ارتفاع وظهور وجمعه أشخاصٌ وشخوصٌ وشِخاصٌ، وشَخَصَ تعني ارتفع، والشُّخوصُ ضدّ الهبوط، كما يعني السير من بلد إلى بلد"[1]، وشخص الرجل ببصره عند الموت أي رفعه (يطرف) إلى السماء فلم يطرف، قال تعالى:﴿ وَاقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الذِينَ كَفَرُوا﴾ (الأنبياء:97) والرجل الشَخيصُ أي السيد عظيم الخلق. وتشخيص الشيء تعيينه[2]

كما ورد تعريف لها في المعجم الوسيط على أنها: "صفات تميّز الشخص من غيره، ويقال: فلان ذو شخصية قوية: ذو صفات متميزة، واردة وكيان مستقل"[3]

فالشخصية هي خصائص تحدّد الإنسان جسميا واجتماعيا ووجدانيا، وتظهره بمظهر متميز من الآخرين، والشخصية قبل أن تكتمل لابد لها أن تمرّ بمراحل يتعرّف بها صاحبها بذاته الجسمية، ثم بذاته النفسية، وأخيرا بذاته الاجتماعية، وبذلك تتكوّن الشخصية التي تختلف من إنسان إلى إنسان، ومن مجتمع إلى مجتمع، ومع وجود تشابه ملحوظ بين بعض الشخصيات إلّا أن بعض الميزات لابد أن تفرّق بينهما، وفي الأدب تبرز الشخصية بروزا واضحا، فإما أن نجد للأديب شخصية خاصة بأسلوبها، أو بموضوعاتها، أو بروحها الإنتاجية كجبران والمنفلوطي وقاسم أمين، وإما أن تكون الشخصية مقلّدة لاإبداع فيها كالشعراء الذين قلّدوا كعب بن زهير في الشعر الديني، فالأديب لا ينجح ولا يبلغ مرحلة الإبداع، ولا يرقى مراقي الإنتاج الفني الجيد ما لم يَبنِ شخصيته بناءً محكما،

[1]– ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مج4، ج24، مادة (ش خ ص)، ص2211

[2]– محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح عبد الكريم العزباوي، الكويت،1979، ص7-9

[3]– ابراهيم مصطفى وغيره، المعجم الوسيط، ج1، دار العودة، ص475

ويعمد إلى إبرازها متميّزة، متفرّدة"[1]. كما يرى تودوروف أن الشخصية هي موضوع القضية السردية، فهي تختزل إلى وظيفة تركيبية محضة، بدون أي محتوى دلالي، وبمعنى جد خاص، يمكن تسمية الشخصية مجموع الصفات التي كانت محمولة للفاعل من خلال الحكي، ويمكن أن يكون هذا المجموع منظما أو غير منظم"[2]. بمعنى أن أفعال الشخصية ذاتها يجب أن تكون مختلفة بما فيه الكفاية لكي تبرّر بياناتها وأيضا متشابهة بما فيه الكفاية لكي نعرف الشخصية، فالتشابه هو كلفة الشخصية والاختلاف قيمتها.

أما من الناحية الاصطلاحية فإن :كلمة(شخصية) لم ترد إلا في العصر الحديث وهي مشتقة من الأصل اللاتيني (Persona) ومعناها القناع الذي يستعمل على خشبة المسرح، وهي تستعمل عادة بعدّة معانٍ، ولكن تستعمل للإشارة إلى النواة المركزية والعميقة للكائن الإنساني[3]. وظهرت كلمة شخصية (Personnage)بعد كلمة شخص(Person) وهي مأخوذة من الترجمة الفرنسية (Personnalité)، وتعني الخصائص الجسمية والوجدانية والعقلية والنفسية التي تعيّن الفرد وتميّزه عن غيره، فلكل شخص شخصية تخصه دون سواه[4].

أما في الحقول المعرفية الأخرى المهتمة بالشخصية، فنجد علم النفس يرى: "أنّ مفهوم الشخصية هو بناء علمي أعدّ لعرض وتوضيح الحقيقة النفسية للفرد"[5]، كما هي "جملة الصفات الجسمية والعقلية والمزاجية والاجتماعية والخلقية التي تميّز الشخص عن غيره تمييزا واضحا"[6].

---

[1]– محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج1، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، ص546-574

[2]–تزفيطان تودوروف، مفاهيم سردية ، تر: عبد الرحمان مزيان، منشورات الاختلاف، ط1، 2005، ص 73-74

[3]– فيصل عباس، أساليب دراسة الشخصية، دار الفكر اللبناني، بيروت،1990، ط1، ص 9

[4]– محمد السيد عبد الرحمان، نظريات الشخصية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص26

[5]–فيصل عباس، أساليب دراسة الشخصية، ص10

[6]–أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، دار الكاتب العربي، القاهرة، ط7، 1968، ص393

وللتّعرّف على الشخصية عند علماء النفس نلجأ إلى بعض التعريفات من أهمّها تعريف 'جوردون ألبورت'Alportأنّ:"الشخصية هي التنظيم الدينامي داخل الفرد، لتلك الأجهزة النفسية، الجسمية التي تحدّد طابعه الخاص في توافقه لبيئته"[1] وذلك أنّ الشخصية ليست مجرد مجموعة أجزاء بل هي عمليات تنظيمية تكاملية وضرورية لتفسير نمو الشخصية وتركيبها وهذا التنظيم يتضمّن عمل العقل والجسم في وحدة لا تنفصل. وكما يرى 'جيلفورد' أنّ: "شخصية الفرد هي ذلك النموذج الفريد الذي تتكوّن منه سماته"[2]. وعند "ريموند كاتل" الشخصية هي ما يمكننا من التنبؤ بما سيفعله الشخص عندما يوضع في موقف معين". ويضيف:" أنّ الشخصية تختص بكل سلوك يصدر عن الفرد سواءا أكان ظاهرا أم خفيا"[3]

ونجد'كاتل' يتحدّث بعد ذلك عن العناصر التي تتكوّن منها الشخصية فيصفها في ثلاثة أنواع:

1-السمات أو العناصر الديناميكية: وهي الدوافع المختلفة للسلوك وأهدافه سواء كانت فطرية أو مكتسبة.

2-السمات المزاجية: وهي التي تتعلّق بالسمات الشاملة الغير متغيرة وهي السمات التي تميّز استجابات الفرد بصرف النظر عن المثيرات التي تؤدي إليها مثل: سرعة الاستجابة أو قوتها أو مستوى النشاط.

3-القدرات والكفايات العقلية:وهي التي تحدّد قدرة الفرد على القيام بعمل ما، وتتمثّل في الذكاء والقدرات الخاصة، والمهارات"[4].

[1]- أحمد محمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،1992، ص41

[2]-فيصل عباس، أساليب دراسة الشخصية، ص10

[3]- أحمد محمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، ص42

[4]- سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، دار الفكر العربي، القاهرة،ط4، 2002،ص125

كما يعرّفها 'مورتون برنس' بأنّها: "حاصل جمع كل الاستعدادات والميول والغرائز والدوافع والقوى البيولوجية الفطرية الموروثة، وكذلك الصفات والاستعدادات والميول المكتسبة من الخبرة"[1]. فهذا التعريف يعطي أهمية النواحي الداخلية في الشخصية.

فهذه مجموعة من المفاهيم حول مصطلح الشخصية عند علماء النفس. أما عند علماء الاجتماع "فهم يهتمون بموضوع الشخصية باعتبارها أحد الأسس الجوهرية التي تقيم الحقيقة الاجتماعية،فالمجتمع يقوم كنسق من العلاقات المتبادلة بين الأفراد، ولهذا لا يمكن أن نعزل الفرد عن مجتمعه، وثقافته، لأنه لا يصبح إنسانا إلا من خلال تفاعله مع الآخرين في الجماعة"[2]

فنجد عدّة تعريفات للشخصية من قبل علماء الاجتماع نذكر أهمها:

فعند 'بيسانز' الشخصية هي تنظيم يقوم على أساس من عادات الشخص وسماته، وهي تنبثق من خلال العوامل البيولوجية والاجتماعية والثقافية"[3]. وهو يعني بالتنظيم تكامل العادات، والاتجاهات والسمات.

أمّا عند 'أوجبرن' و'نيمكوف' فالشخصية عندهم تعني التكامل النفسي الاجتماعي للسلوك عند الكائن الإنساني، الذي تعبر عنه عادات الفعل والشعور والاتجاهات والآراء. فهذا يعني أن الجانب الاجتماعي الهام للشخصية يكمن في أنها تنمو في المواقف الاجتماعية وتعبّر عن نفسها من خلال التفاعل مع الآخرين"[4]

وعلى حسب 'غي روشي' هي نتاج ما هو اجتماعي تتحدّد بواسطة التنشئة الاجتماعية من حيث هي عملية تطورية تكسب الشخص نماذج من المعارف والقيم والسلوكيات الخاصة بالجماعات

[1]– سيد محمد غنيم، سيكولوجية الشخصية، دار النهضة العربية، القاهرة، ص57

[2]– سامية حسن الساعاتي، ص117

[3]–المرجع نفسه، ص 117

[4]–المرجع نفسه، ص118

والمجتمع والحضارة التي ينتمي إليها الفرد، وعبر هذه العملية يتم استدماج معطيات الوسط الاجتماعي من طرف الشخص لتصبح من محدّدات شخصيته فلا يشعر خلالها بثقل خضوعه لسلطة المجتمع، مما يؤدي إلى تكيّف الشخص مع وسطه الذي ينتمي إليه، بحيث يستقي منه هويته الاجتماعية والثقافية[1].

ويؤكّد 'سوروكن' أهمية موضوع الشخصية بالنسبة لعلم الاجتماع لأنه يرى أن الأفراد هم المكوّنات الأساسية في كل الأنساق الاجتماعية والثقافية، ومادام الأمر كذلك فإن شخصياتهم تؤثّر من غير شك في إطار تلك الأنماط، ويرى كذلك أن الدراسات المتعدّدة التي أجريت في ميادين علم النفس الطفل، والتحليل النفسي وعلم الجريمة تؤكّد أن الجانب الأكبر من الشخصية الإنسانية يرتكز على دعائم المجتمع والثقافة، فالنمو العقلي، والذاكرة، والتحليل والتعميم يستحيل دون التفاعل الإنساني"[2]

ويمكن القول بعامة: "أن اهتمام علماء الاجتماع، بدراسة الشخصية كان محصورا في العوامل الثقافية والاجتماعية التي تكوّن الشخصية دون الاهتمام بعوامل الوراثة البيولوجية، فالفرد في نظرهم يكتسب شخصيته بانتمائه إلى جماعة، حيث يتعلّم من خلال هذا الانتماء أنساق السلوك والمهارات المختلفة والعادات، ومعايير الجماعة"[3].

وأمّا مفهوم الشخصية في حياتنا اليومية "هي القدرة على التّأثير في الغير أو الأثر الذي يتركه الشخص

[1]- وصفي عاطف،الثقافة والشخصية ومحدّداتها الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص103

[2]- سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، ص119

[3]- نفس المرجع، ص121

فيمن حوله، وما يتعلّق بذلك مما يكون لدى الفرد من هيبة ووقار وكبرياء، أو تواضع وخضوع واستسلام وهذا ما يعنيه العامّة حين يستخدمون كلمة شخصية"[1].

ج/ الشخصية في القرآن الكريم:

ترد الشخصية في بعض القصص القرآني محورا تدور حوله الأحداث فتؤثّر فيها وتتأثّر بها. فالعمل القصصي يقوم على محورين: إما الشخصية، وإما الحدث بمعنى أن تكون الشخصية هي الفلك الذي تدور حوله الأحداث،أو أن تكون الأحداث هي المركز الذي تدور في دائرته الشخصيات.

"فالأشخاص في القصص القرآني-أيّا كانوا- ليسوا مقصودين لذاتهم من حيث هم أشخاص تاريخيون يراد إبراز معالمهم، وكشف أحوالهم، والتمجيد أو التنديد بأعمالهم، وإنما يعرض القرآن ما يعرض من شخصيات كنماذج بشرية في مجال الحياة الخيّرة أو الشريرة، وفي صراعها مع الخير والشر،وفي تجاوبها أو تعاندها مع الأخيار والأشرار، مثل أسماء الأنبياء وأعدائهم ممّن تحدّوا دعوات السماء، كموسى وهارون، وفرعون وقارون"[2] .بمعنى" أنّ القرآن لم يعْنَ برسم الخطوط الشكلية للشخصية وإبراز ملامحها الخارجية كما يفعل بعض المولعين بالقصّ وإنّما يكشف عن مزاج الشخصية، وعن دوافعها وانفعالاتها وسلوكها من خلال الوصف، أو حكاية الأقوال أو الأحداث بصورة عرضية لم تقصد لذاتها الأصلية"[3].

ومن خلال هذا نجد أنّ الشخصية في القصة القرآنية "إنّما ينظر إليها بهذا الاعتبار الذي تؤدي فيه دورها كشاهد من شواهد الإنسانية في قوتها أو ضعفها، وفي استقامتها أو انحرافها، وفي هداها أو

[1]- نفس المرجع،ص124

[2] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط2،1975، ص41

[3]التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، ص360

ضلالها، وفي رشدها أو غيبها، وفي حكمتها أو سفاهتها...إلى غير ذلك مما تندرج تحته عوالم الإنسانية، وتتشعّب فيه مذاهب سعيها ومسلكها في مضطرب الحياة"[1]

ومن ناحية أخرى فإنّ الشخصية القرآنية تتمثّل في:

"1-فرد معيّن باسمه: كإبراهيم وموسى وفرعون، فنجد أنّ شخصيّة إبراهيم عليه السلام كانت في القرآن محورا لأحداث مختلفة كشفت عن ملامحها، فمن ذلك مثلا: قصة إيمانه بالله وبالبعث، وقصّة فداء ابنه بعدا ابتلائه، وقصّة دعوة أبيه إلى عبادة الله ونبذ الأوثان، وقصّة زيارة الملائكة له لتبشيره بغلام، وتعريفه بهلاك قوم لوط"[2].

فمن خلال هذه القصص برزت شخصية إبراهيم المثالية فكان "مثلا في حصافة الرأي"، وحبّ التّطلّع إلى اليقين، والامتثال لأمر الله في تفان وإخلاص، والرفق والحلم، والرأفة والحنان، وقد تجمّع في شخصه من جليل الخصال ما تفرّق في غيره من الناس على مدى الأجيال فكان أمّة برأسه كما أثنى الله عليه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَم يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ، اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة النحل: 120-122)

فما عرف به عليه السلام من أناة وبُعد نظر ورجاحة عقل، دلّ عليه تأمّله في ملكوت السماوات والأرض، وهو يبحث عن خالق هذه الأكوان، وما غُرِس في قلبه من إيمان بالله بلغ به أسمى مراتب الطاعة والامتثال، وما اتّصف به من أدب وحياء ورفق حمله على ملاطفة أبيه رغم إساءته إليه بالتّهديد والوعيد"[3]

[1] عبد الكريم الخطيب، ص41

[2]-التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، ص360

[3]-المرجع نفسه، ص364

ولا عجب! فإبراهيم صاحب القلب الكبير الذي وسِع النّاس بمحبّته ولينه، يحنّ على قومه رغم إيذائهم لها، فهو لا يطلب العذاب والهلاك لمن عصاه، وإنّما يكلُهم إلى رحمة الله وغفرانه"[1].

"2-شخصية جنس وحّدت بين طباعه وأخلاقه عوامل العرق والوراثة حتّى صار الفرد مرآة للجنس كلّه، والجنس يتمثّل في أي فرد من أفراده.

ويكاد ينحصر ذلك في بني إسرائيل الذين لهم تاريخ طويل، ولكنّهم جنس واحد في سجايا العرق، متضامنوا الأجيال، متّحدوا الجِبلة في جميع العصور، لذلك نرى أنّ القرآن في عرضه لأخبار بني إسرائيل يحوّل السياق من الحكاية إلى الخطاب، ليذكّرهم بما أنعم الله على آبائهم من نعم جليلة قابلوها بالجحود والانحرافات كالعناد والتّمرّد، واختلاق المعاذير الواهية في التّخلّي عن الواجبات، والاستخفاف بأنبيائهم، والاعتداء على بعضهم بالقتل، ونكث العهود، وكأنّه بذلك يخاطب جيلا واحدا، لا أجيالا عديدة فرّقت بينها القرون لأنّ ما في طبيعتهم من تعصّب شديد، جعل تصرّف الأحفاد، متساوية مع تصرّفات الأجداد"[2]

3-الإنسان: "هذا الذي أودع الله فيه مزاجا يرتبط فيه الجسد بالروح، لا يمكن أن ينفصل أحدهما عن الآخر مادامت تسري فيه الحياة، والقيمة في كيانه لم تنشأ من قبضة الطّين التي خلق منها الجسد الأول، وإنّما نشأت حين تلبّست بها نفخة الروح العلوية، وهي التي بها استحقّ التكريم، ومن أجلها أمر الله الملائكة أن يسجدوا له:﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلَائِكَة: إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي، فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (سورة ص:71-72)

[1]-المرجع نفسه، ص365

[2]-التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، ص 372

وبهذه الطبيعة المزدوجة التي ركّبت فيه، كان قادرا على السّموّ بروحه إلى الملكوت، أو الهبوط بحيوانيته إلى الحضيض"[1]

وقد ورد لفظ الإنسان في القرآن في خمسة وستين موضعا أبرز فيها ماله من طاقات، وكشف عن دقائق ملامحه النفسية، ونوازعه الخفية، فهو مزوّد بوسائل المعرفة والإدراك والتمييز والقدرة على مجابهة

المشاقّ والصّراع، والاستعداد للتّلقّي والاستجابة، والتّصرّف بإرادته ليُبتلى ويجزى.فهو مخلوق لغاية، ومشدود إلى محور، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ، فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا

أَنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيل ، إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (سورة الإنسان:2-3)

كما هو ضعيف في التّغلّب على دوافع غرائزه، والتّحكّم في نزواته وقد علم الله ضعفه، فنفى عنه الحرج والمشقّة والضّرر، وفتح له باب التوبة:﴿لَا يُرِيدُ الله أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُم، وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[2](الإنسان: 28)

فمن خلال هذا كلّه نستنتج أنّ ما وصف به القرآن الكريم الإنسان من ضعف وكفر وعجلة ومكابرة ونسيان وطغيان وذهول عن الله وجحود لنعمه، ظاهرة عامّة في تاريخ الإنسانية وما تزال فيها لأنّ في طرق الإنسان مزالق وأشواك ومعوّقات تعترض مسار حياته"[3]. فلا يمكن أن يجد لها دواءً إلّا بالإيمان الرّاسخ، والعقيدة الصّحيحة.

[1]-المرجع نفسه، ص375

[2]-التهامي نقرة، ص377

[3]-المرجع نفسه، ص380

وفي القرآن "شخصيات من غير البشر، صدرت عنها عبارات وأفكار وقامت بأدوار إيجابية في القصّة: كالملائكة في قصّة إبراهيم ولوط والجنّ في قصّة سليمان، وإبليس في قصّة آدم"[1]

وأبرز ما يلاحظ في التّصوير القرآني للشّخصية بصفة عامة: أمانة النّقل في حكاية أقوالها، ودقّة التّعبير عن مشاعرها، وصدق الترجمة الباطنية عن خواطرها. فهي رغم تعدّد مواقفها وتنوّعها في مواطن متفرّقة من القرآن لا يتناسق جمعها في موضع أو سورة، لانعدام الوحدة الموضوعية بينهما، لكنّا نجد في تلك الشخصية من توافق العناصر وائتلاف الصفات، وتفاعل السّمات المزاجية والخُلقية على الخصوص، ما يقلي الأضواء على جوانبها النفسية"[2]

فإبراز سمات الشّخصية في القرآن "يقوم على مبدأ عام يسمّى في علم النّفس 'اتّساق شخصية الفرد' بحيث أنّ سلوكه يتناغم بصفة مستمرّة مع الظروف الداخلية والخارجية التي يتعرّض لها، وذلك بما يحمل من خصائص معيّنة تلازمه من موقف لآخر وتؤثّر في سلوكه، وتحدّد وجهته ونمطه، وما ذلك إلّا لأنّ القرآن يعبّر بأمانة عن تصرّف الأفراد في مواقفهم"[3].

فالشخصية القرآنية "صاحبة رسالة، يملأ قلبها الأمر العظيم رسالة الإسلام، فهي شخصية جادّة ذات هدف تعرف للوقت قيمته، هدفت حياتها أن تعيش للقرآن فلا مجال للأعمال التي ليست بذلك الأهمية. وهي بذلك لا تعرف معنى للكآبة والأمراض النفسية، ولا تحمل عقدا ولا خوفا لأنّ القرآن ملأ قلبها رضًا وأمنًا، وملأ عليها حياتها ووقتها، فأنى لهذه الأمراض أن تدخل روحها وفي صدرها كلام الله"[4].

[1]–المرجع نفسه، ص 381
[2]–المرجع نفسه، ص361
[3]–التهامي نقرة، ص369
[4]–المرجع نفسه، ص373

لذلك نجد أنّ القصص القرآني "رسم شخوصه بطريقة لا تتناقض وطبيعتها الإنسانية، والشخصية الإنسانية بشكل عام، وهذا يدلّ بشكل واضح على أنّ شخوص القصص القرآني يمثّلون التروع الأوّل في الفكر واكتشاف الذات، وسعيها نحو الوصول للحقيقة التي تجمع ما بين الروح والمادة، وتتجاوز أخطاء الحياة الدّنيا وتسمو نحو سوابق الأمور وتجعل من الإنسان عنصر خير وسعادة، وصاحب رسالة سواء أكانت بالتّكليف الرباني أو بإتّباع رسالة ربّانية بعد الاقتناع والإيمان"[1].

وإذا فشخوص القرآن الكريم في معظم الأحوال ينقسمون إلى قسمين مختلفين: "أحدهما، يحوي مجموعة الشخوص المثالية، والقدوة في الجوانب الإيجابية من حياة الإنسان، وثانيهما، مجموعة الشخوص السّلبية الذين يوضعون للعبرة والدّرس"[2].

"فما ذكر مرتبطا بالأنبياء والرسل والصالحين جاء تصويرا تاريخيا لحياتهم، كي نقف على حقائقها ونلتمس فيهم خطى القدوة الحسنة والصبر والتّأمّل، كما في شخصية نوح وإبراهيم ولوط وصالح –عليهم السلام– أمّا ما ذكر مرتبطا بشخوص الأفراد أو الناس على مختلف أجناسهم ومراتبهم الاجتماعية، كتسلّط فرعون ونمرود، وعدل بلقيس، ومكر امرأة العزيز ثم توبتها، وسلوك إخوة يوسف –عليه السلام–، ورحلة الشباب في أهل الكهف"[3].فقد بيّن سلوك الإنسان بشكل عام أفراد أو جماعات مهما اختلفت صوره وأحداثه

فكل شخصية من شخصيات القصة القرآنية "لها دور البارز في القصة وهي تتفاعل تفاعلا تاما مع سائر الشخصيات الأخرى بحيث تحس أن هناك سلكا منتظما يجمع هذه الشخصيات ذات الأواصر القوية، وهو الذي يعرف ببطل القصة يرتبط بجميع الشخصيات ارتباطا وثيقا، بحيث لا تحس بأن هناك شخصية معطّلة أو منعزلة عن أحداث القصة فهي كالحلقات يكمّل بعضها بعضا

[1]– خالد سليمان عيد الدولات، الشخصية في القصص القرآني، رسالة ماجستير، إشراف أ.د عفيف عبد الرحمان، جامعة اليرموك، 1991، ص 26

[2]–المرجع نفسه، ص27

[3]– خالد سليمان عيد الدويلات، الشخصية في القصص القرآني، ص27

في سلك منتظم متين"[1]. أي أن كل شخصية من شخصيات القصة تؤدي دورها كاملا في حركة متصلة.

"فإبليس في قصة آدم له أدوار خطيرة، حيث إنّه أغرى آدم وحواء وحاول ما استطاع أن يصرفهما عن طاعة الله حتى نجح في مقصده، ووصل إلى هدفه"[2].

وهكذا فإنّنا نلمح في كثير من الشخصيات القرآنية أنّها: لا تقف عند اتجاه معيّن، بل يتمثّل فيها كثيرا عنصر التّطوّر والاستجابة لما حولها من ملابسات، ولا شك أنّ تطوّر الشخصية بهذا المفهوم يكسبها جمالا ويولّد فيها الحركة والحيوية حتى تثمر ثمرتها، وتعطي العبرة والعظة كاملة"[3].

فالشخصية هنا هي كل شخصية وقعت منها أحداث وصدرت عنها عبارات وأفكار أدّت دورا إيجابيا في القصة، وتركت صورة حسنة في أذهان القرّاء.

فمن خلال الحديث عن الشخصيات في القصص القرآني اتّضح "أنّ مذهب القرآن في رسمها

وتصويرها (الشخصيات) كان المذهب غير المباشر وهو الذي يذهب فيه القاص إلى عرض الشخوص في تفكيرهم وأعمالهم وحركاتهم، ويترك لنا نحن التّعرّف إليها من طرق تفكيرها ونهج أعمالها وسبحات روحها، حتى لكأنّها الشخص الذي نعاشره منذ زمن، فعرفنا خلقه ومزاجه وطوايا عقله وخبايا فؤاده"[4] أي أنّه لا يمكننا الحكم على الشخصية إلّا من خلال التّعرّف على تصرّفاتها وعاداتها

وبناءً على هذا كلّه نستنتج أنّ القرآن الكريم في عرضه لشخصياته كان مصباحا يستضيء به الكثير من الأدباء، وذلك لإعجابهم بملامحه التصويرية وقوة عرضه المحكم.

[1]– عمر محمد باحاذق، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط1، 1993، ص128

[2]–المرجع نفسه، ص128

[3]–المرجع نفسه، ص 131

[4]–محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، مع شرح وتعليق خليل عبد الكريم، دار سينا للنشر، ط4، 1999، ص308

2:القصص القرآني:

أ–مفهوم القصة في اللّغة والاصطلاح:

–**القصة في اللّغة**: مأخوذة من الجذر الثُّلاثي (ق ص ص) الذي نجد أنّ أصل اشتقاقها يتلاقى مع المفهوم الذي قام عليه أصل التّسمية للقصص القرآني، فالقصّة مشتقّة من القص وهو تتبّع الأثر واقتفائه[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَت لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَت بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُم لَا يَشْعُرُونَ﴾ (القصص:11) أي اتّبعي أثره، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مج5، ج41، مادة (ق ص ص)، ص3651

(الكهف:64) أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصّان الأثر الذي جاءا به. ولهذا يقال: قصصت أثره واقْتَصَصْته وتَقَصَّصْته، وخرجت في أثر فلان قصصا، ومنه قصّ عليه الرّؤيا والحديث، قال تعالى في سورة يوسف: ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (سورة يوسف:5)

وقال ابن فارس: "من ذلك اشتقاق القصاص في الجراح وذلك أنّه يُفعل به مثل فعله بالأوّل فكأنّه اقتصّ أثره"[1].

وورد بمعنى الخبر والأمر والشأن والحكاية، يقال ماقصّتك أي ما شأنك، والجمع قِصص وقَصص"[2]، كما جاء في قوله تعالى:﴿ فَاقْصُصْ القَصَصَ لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: 176)

والقصص: الخبر المقصوص بالفتح، وُضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه، والقِصص: بكسر القاف: جمع القصّة التي تكتب[3].

-**القصة في الاصطلاح**: "هي الإخبار عن قضية ذات مراحل، يتّبع بعضها بعضا"[4].فالقصة: "هي مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب، وهي تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدّة، تتعلّق بشخصيات إنسانية مختلفة، تتباين أساليب عيشها وتصرّفها في الحياة، على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض، ويكون نصيبها في القصّة متفاوتا من التّأثّر والتّأثير"[5].

[1] أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ج5، 1979، ص11

[2]-أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مكتبة لبنان، بيروت، 1987، ص193

[3]- ابن منظور، لسان العرب، ص3651

[4]- العثيمين محمد الصالح، أصول في التفسير، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، 2008، ص57

[5]- محمد يوسف نجم، فنّ القصّة، دار الثّقافة، بيروت، ط5، 1966، ص9

وعرّفها 'محمود تيمور' بأنّها: "عرض لفكرة مرّت بخاطر الكاتب، أو تسجيل لصورة تأثّرت بها مخيّلته أو بسط لعاطفة اختلجت في صدره وأراد أن يعبّر عنها بالكلام ليصل بها إلى أذهان القرّاء، محاولا أن يكون أثرها في نفوسهم، مثل أثرها في نفسه"[1]

أمّا 'سيد قطب' فيرى: "أنّ القصّة عبارة عن ترجمة للحياة بكل جزئياتها عبر الزمن الذي تمرّ فيه، مجسّدة في الوقائع الخارجية والمشاعر الباطنية، بفارق واحد يتمثّل في أنّ الحياة لا تبدأ من نقطة معينة، ولا يمكن فرز لحظة منها تبتدئ حادثة ما، بكل ملابساتها، عن اللحظة التي قبلها، ولا تقف هي عند لحظة ما لتصنع خاتمة الحادثة بكل ملابساتها، أما القصّة فتبدأ وتنتهي عند حدود زمنية معيّنة، وتتناول حادثة أو طائفة من الحوادث بين دفّتي هذه الحدود، ولا بد أن تنسّق هذه الأحداث بتدبير مبدعها –القصّاص– لتسيّر إلى الغاية التي يحدّدها القصّاص"[2].

في حين يرى 'خالد أبو جندي' أنّ: "القصة الفنية عبارة عن وسيلة من وسائل التعبير الفني ينشرها الكاتب فيبرز بها ما يشغل الناس من أمور الحياة وما تتصف به نفوسهم من خلال الأخلاق، لينصح أو يرشد أو يعظ أو ينقد أو يلاحظ وهي بهذا لوحة فنّية جميلة، تتمدّد على صفحتها ألوان حياة البشر وأنماط سلوكهم وصور أفعالهم بكل أنواعها المتقاطعة، والمتوازية، المتطابقة والمتضادة، ومرآة

صافية للحياة، إذا أحسن نصبها أعطت أفضل المناهج لتقويم الحياة ونخلها من الشوائب"[3].

فالقصّة هي: "حكاية نثرية طويلة تستمدّ من الخيال أو الواقع أو مندمجا معها، وتبنى على قواعد معيّنة من الفنّ الكتابي"[4].

---

[1]– محمود تيمور، فن القصص، دار الهلال، مصر، ط2، 1948، ص42

[2]–سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، ص86

[3]– خالد أحمد أبو جندي، الجانب الفني في القصة القرآنية – منهجها وأسس بنائها، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، ص126

[4]– أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تجديد الصحاح في اللغة والعلوم، دار الحضارة العربية، بيروت، ص313

كما يصفها 'محمد زغلول' بأنّها: "نموذج فنّي يتّصل بكثير مما يهم الناس مما قد يضمنه الفنان عمله، فالقصّة على هذا الرأي تجمع الفنّ إلى شيء آخر هام، فهي تعطي اللّذّة الفنّية والمتعة الجمالية التي يعطيها كل عمل فني إلى جانب مالها هي من خاصية أخرى تتّصل بما يشغل الناس ويهمّهم في الحياة"[1]، ويرى أيضا 'محمد يوسف نجم': "أنّ القصّة حوادث يخترعها الخيال وهي بهذا لا تعرض علينا الواقع، كما تعرضه كتب التاريخ والسير، وإنّما تبسط أمامنا صورة مموّهة منه، فهذه الصورة هي الأساس الذي يرتكز عليه فنّ القاصّ، وتنصبّ عليه جهوده، فمهمّة القاصّ تنحصر في نقل القارئ إلى حياة القصّة، بحيث يتيح له الاندماج التّام في حوادثها، ويحمله على الاعتراف بصدق التّفاعل الذّي يحدث بين الشّخصيّات والحوادث"[2].فهذا أمر يتيسّر للقاصّ إذا استطاع أن يصوّر الشّخصيات في حياتها الطبيعية الخاصة.

والمعنى ذاته يتكرّر عند 'محمود السّمرة' الذي يرى: "أنّ الكاتب القصصي لا ينقل لنا الواقع كما هو، وإنّما يتصرّف في تصوير أحداثه وشخصياته ويختار الجوانب التي يراها مهمّة في نظره فتكون النّتيجة شخصيات إنسانية نابضة بالحياة تتفاعل مع الحوادث تفاعلا طبيعيا صادقا"[3].

والقصّة في صورتها العامّة حكاية تتسلسل أحداثها في حلقات كحلقات فقرات الظهر، تتماوج أجزاؤها في تتابع وهذا التّسلسل يتضمّن تطوّر لأحداث ينتظمها الزمن إلى جانب عناصر أخرى تتفاوت أهمّيتها وتختلف باختلاف الكاتب واتجاهه وطريقته[4].

"وللقصة عناصر أساسية تلتزمها، ولا تخلو منها أي قصّة فنّية جيّدة هي: الوسط أو البيئة، والحبكة، والحدث، والشخصيات، والحوار، ثمّ الأسلوب، إضافة إلى ذلك عنصر الخيال الذي يعدّ

[1]- محمد زغلول سلام، دراسات في القصة العربية الحديثة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص05

[2]- محمد يوسف نجم، فن القصّة، ص10-11

[3]- محمود السمرة، في النقد الأدبي، الدار المتّحدة للنّشر، ط1، 1974، ص17

[4]- محمد زغلول سلام، دراسات في القصة العربية الحديثة، ص11

العنصر الأساس في بناء القصّة الفنّية، فهذه العناصر لا تنفصل بطبيعة الحال بعضها عن بعض، وتتفاوت أهمية كل عنصر منها بحسب طبيعة القصة ولونها الفنّي"[1].

ولعلّ جلّ هذه التّعريفات ترمي إلى تعريف القصّة الفنّيّة باعتبارها وسيلة من وسائل التّعبير الفنّي وإبداعا بشريا ينسجه خيال الفنّان للتّعبير عن واقعه الداخلي والخارجي، وكذلك عن تاريخه الطويل في هذه الحياة، والتّنقيب عن أحداث وقعت في الزمن الغابر نساها الناس، وأغفلوا عنها لتقديم الزمن، وفيها تماسك سردي بين أجزائها كما يجب أن تكون لها بداية فنهاية، والغاية منها لفت النّظر إليها لتكون عبرة وموعظة للنّاس.

ب/مفهوم القصّة في القرآن الكريم:

إنّ القصّة القرآنية إحدى وسائل التّعبير التي شغلت مساحة واسعة من القرآن الكريم، لكونها من أبلغ الوسائل تأثيرا في النفوس، وأكثر قبولا لدى جمهور المستمعين والقارئين، كما أنّها تعبير عن روح الأمم، وعقليتها وطبيعتها.

[1]-المرجع نفسه، ص 14

فإنّ الاشتقاق اللغوي للقصّة أو القصص كما رأينا هو: "كشف عن آثار، وتنقيب عن أحداث نسيها الناس أو غفلوا عنها، وغاية ما يراد بهذا الكشف هو إعادة عرضها من جديد، لتذكير الناس بها، وإلفاتهم إليها، ليكون لهم منها عبرة وموعظة، هكذا كان القصص القرآني، ولهذا جاء"[1]. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِم عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ، مَا كَان حدِيثًا يُفْتَرَى، وَلَكِن تَصْدِيقَ الذِي بَيْنَ يَدَيْه وَتَفْصِيلَ كُل شَيْءٍ، وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤمِنُونَ﴾[2].

كما يرى 'سيّد قطب' أنّ: "القصّة في القرآن ليست عملا فنّيا مستقلّا في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه –كما هو الشّأن في القصّة الفنّية الحرّة- إنّما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينيّة، والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدّعوة وتثبيتها"[3]. وبهذا فالقصّة القرآنية تعدّ: "وسيلة للإرشاد والإيمان والعظة، وشرح الأوامر والنواهي الشرعية، ونشر فكر الحق والخير والتّعاون بين الناس وكانت القصة القرآنية إحدى وسائل القرآن إلى غايته"[4]

أمّا الدكتور 'عبد الكريم الخطيب' يرى: "أنّ القصّة القرآنية بنيت بناءً محكما من لبنات الحقيقة المطلقة، التي لا يطوف بحماها طائف من خيال، ولا يطرقها طارق منه، ثم هي مع هذا 'قصة'

حيث سمّى القرآن كل ما جاء على هذا النّحو قصصا، فقال تعالى مخاطبا النّبي الكريم: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ﴾ وقال جل وعلا ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ﴾[5]. وكما يرى الإمام

[1]– عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص48

[2]–سورة يوسف، الآية 111

[3]– سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة وبيروت، ط7، 1982، ص143

[4] بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن الكريم، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 2004، ص190

[5]– عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص40

الرازي: "أنّ القصص هو مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النّجاة"[1].

فهكذا أطلق القرآن "لفظ القصص على ما حدث به من أخبار القرون الأولى في مجال الرسالات السماوية، وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال، وبين مواكب النور وجحافل الظلام"[2].

فقصص القرآن: أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة والحوادث الواقعة، وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبّع أثر كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه"[3] .فكان لفظ القصص أو القص أنسب لفظ يطلق على تلك الأنباء التي عرضها القرآن الكريم، إذ أنّ ذلك أشبه بقصّ أثر شيء وتتبّعه، ثم الوقوف عليه بذاته، لا على صورته أو ما يشبه صورته،فالقص للأثر أشبه بما يعرف في عصرنا هذا بتصوير 'البصمات' أو رفع الآثار وتصويرها، ليستدلّ منها على ما وراءها من أحداث مضت، وليمسك بما يقدر على إمساكه منها"[4].وعليها فإنّ "القصص القرآني يأخذ مكانا واسعا، وحيّزا كبيرا في القيام بدوره في مجال الدعوة والتربية، إذ القصّة هي المدخل الطبيعي الذي يدخل منه أصحاب الرسالات والدعوات إلى قلوب الناس وعقولهم، ليلقوا فيها ما يريدون من معتقدات وآراء، ومن أجل هذا كانت القصّة القرآنية ركيزة قوية من ركائز الدعوة الإسلامية القائمة على الاطمئنان القلبي، والإقناع العقلي، فالقصص هو

[1]- فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ص126

[2]-المرجع نفسه، ص40

[3]-مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7، 1995، ص300

[4]- عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص 45-49

أحد الأساليب التي حملها القرآن ليحاجّ بها الناس، وليقطعهم على الجدل والمماحكة بدقّة التعبير وقوّة المعاني"[1].

ويمكن القول بأنّه: "مهما كان القصص القرآني سماوي المطلع فهو بشري الصورة، إنساني المنازع والعواطف، يتحدّث عن الناس إلى الناس، ويأخذ من الحياة للحياة، يقرؤه الناس ويسمعونه فكأنّما يقرؤون أطواء أنفسهم، ويسمعون همس ضمائرهم، ووسوسة خواطرهم...، ومن هنا فهم يعيشون فيه، ويحيون معه، وينتفعون به انتفاع الأرض يصوبها الغيث فيقع منها مواقع مختلفة، بين وديان وسهول، وجبال وقيعان، وأحراش وسهوب"[2].

ويختلف القصص القرآني عن غيره من القصص الفني، لكونه هادفا اختار من حوادث الأمم والشعوب، ومن أخبار الأنبياء والرسل ما يحقّق هدفه في شرح الإسلام، وبيان رسالته ومزج تعاليمه في القلوب، كما نجده يختلف في النّهج والموضوع، وفي أسلوب الأداء وفي الغايات والمقاصد فهو في "موضوعه نسيج من الصدق الخالص، وعصارة من الحقيقة المصفّاة، لا تشوبه شائبة من وهم، أو خيال. إنّه يبنى من لبنات الواقع، بلا تزويق ولا تمويه. وهذا الواقع لا يتغيّر وجهه حين يعرض هذا العرض المعجز في ذلك الأسلوب القرآني الرّائع...فالإعجاز والروعة إنّما يتجلّيان في صدق الأداء، وفي نقل الواقع وما تلبس به من سرائر النّفوس، وخلجات الصدور... وإنّه ليس النقل 'الفوتوغرافي' الذي يقف عند 'السطح' ولا يتجاوز شيئا مما وراءه من أبعاد وأعماق، بل هو نقل حيّ للأحداث، حتّى لكأنّها تتجسّد في الزّمان والمكان اللذين حملاها، فتظهر وكأنّها في ساعة ميلادها لا يختلف يومها عن أمسها، ولا يفقد من يشهدها اليوم، شيئا مما شهده

[1]– العرابي لخضر، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2005، ص 12-13

[2]–المرجع نفسه، ص73

منها الشاهدون بالأمس... من صور وأشكال ،ومن مشاعر وأحاسيس وهذا هو الإعجاز الذي نشهده فير كلمات القرآن وهو أيضا الروعة التي تطلع علينا من عبقريات الفن وآياته"[1]

والقصص القرآني "صدق كله لا ينبغي أن يرتاب فيه مرتاب، لأنه إنّما ذكر في هذا الكتاب الذي لا ريب فيه"[2]

فإنّ الأداء الفني للقصص القرآني لا ينفي عنه هدفه الديني وليس كل من يحاول إثبات الملامح الفنّية للقصة القرآنية، يريد أن يشكّك في كون القرآن كتاب تشريع، وليس كل إثبات لفنية القصّة القرآنية يعني أنّ القرآن كتاب فنّ قصصي كلّه أو في بعضه، فالقرآن قرآن ليس غير، أنزله الله رحمة للنّاس ومنهجا لحياته، كما هو دستور للحياة الإنسانية في مختلف علاقاتها الروحية والجسدية، الفردية والجماعية"[3]

ولهذا فإنّنا نجد "الفنّ في القصص القرآني يتمثّل في طريقة التصوير فهو يعبّر بالصّورة المحسّنة المتخيّلة، عن المعنى الذهني، وعن الحالة النّفسية التي لا تلمس وعن النّماذج الإنسانية والطبيعية التي لا ترى فيَحيل كل أولئك إلى مشاهد منظورة، أو لوحات مجسمة شاخصة حاضرة"[4]. فعلى الرغم من كثرة الدراسات حول القصة القرآنية من الوجهة الفنية وإقرار العديد من النّقاد بوجودها الفني إلى جانب الوعظي، إلّا أنّنا نجد البعض ينكر أن تكون قصص القرآن فنّية، كما أنّ فهم ما تعنيه لفظة الفنّ قد التبس على البعض الآخر"[5].

[1]–عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص 9

[2]– فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1، 1987، ص22

[3]– خالد أحمد أبو جندي، الجانب الفني في القصّة القرآنية، ص 134

[4]– محمد دالي، الوحدة الفنّية في القصّة القرآنية، مون للطباعة والتجليد، 2001، ط1، ص11

[5]– خالد أحمد أبو جندي، الجانب الفني في القصّة القرآنية، ص123

ومن هؤلاء نجد 'محمد أحمد خلف الله' أطلق لفظة الفن على كل ما هو ملفق وقائم على الخيال فأصبح في فهمه –ضربا من ضروب الاختراع والتلفيق"[1]. وهذا ما جعل 'سيد قطب' يعجب من هذا المفهوم، الأمر الذي دفع به إلى السعي من أجل تخليص كلمة فن من كل الشوائب، ويؤكّد أنّ

استخدامه لها في دراسته لصور القرآن ما قصد به إلا إظهار جمال العرض وتنسيق الأداء وبراعة الإخراج"[2].فيقول: "الفنّ في القرآن إبداع في العرض وجمال في التّنسيق، وقوة في الأداء، وشيء من هذا كله لا يقتضي أنّه يعتمد على الخيال والتّلفيق والاختراع متى استقام التّفكير وصحّة الأفهام"[3]

فنخلص من هذا إلى "أنّ التّعبير القرآني يؤلّف بين الغرض الديني والغرض الفنّي،فيما يعرضه من الصور والمشاهد، بل أنّه يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتّأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية، بلغة الجمال الفنية، والفن والدين صنوان في أعماق النفس وقرارة الحس، وإدراك هذا الجمال دليل على استعداد لتلقّي التّأثير الدّيني، حين يرتفع الفنّ إلى هذا المستوى الرّفيع، وحين تصفو النفس لتلقّي رسالة الجمال"[4]

فإنّ القصص القرآني بوصفه أعظم المصادر وأوثقها في أيدي العرب منهج متميّز في قصّ القصص باللّغة العربية، تكفي للكشف عن الفارق الهائل بين القصص القرآني وقصص الشعوب

[1]–محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، ص 255

[2]–سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ص229

[3]–المرجع نفسه، ص229

[4]–سيد قطب، التصوير الفنّي في القرآن، ص144

واللغات الأخرى من الأساطير والروايات والمسرحيات بلغ هذا الفارق ما بين الجد والهزل وما بين الحق والكذب"[1].

فالفارق شاسع وفي جميع المجالات والمقاصد والأغراض، ويتّضح أنّ الغاية أن يكون ذلك القصص القرآني نفسه هاديا للمؤمنين إلى الطريق الصحيح، والصراط المستقيم ،وما القصّة القرآنية في عمومها

إلّا داعية إلى الحق عز وجل وموجّهة إلى سلطانه الذي لا ينفد، وقدرته التي لا حدّ لها[2].

ومن هنا، فالفنّ ليس هو ذلك الفنّ الساقط، الذي يملأ الأسماع والآفاق، وإنّما الفنّ الأصيل هو

"الفنّ المتمثّل في آيات الله الجميلة المعروضة في الآفاق، وفي الجمال الساحر الذي يتجلّى فيها، وفي الأصوات الطبيعية التي تشدو بأعذب الألحان وفي الروائح الشذية التي تنبعث من مفاتن الدّنيا، وفي الأساليب البليغة الساحرة التي تنشئها موهبة أديب فنّان... وتذوق هذا الفنّ الرّفيع، وإدراك هذا الجمال البديع، أمر فطري في أعماق الفطرة الإنسانية"[3].

وبناءً على هذا، تسمو القصّة القرآنية فوق كل ما يمكن أن ينسب إليها من الاختراع والتّلفيق، لأنّها قامت على أسس الحقيقة المطلقة التي لا يعترض جمالها عارض من وهم أو خيال"[4].

فمادامت القصّة القرآنية تتحدّث عن حياة أمّة من الأمم: "فهي بذلك تتناول سيرهم التي تحمل جانبي الخير والشر، والحق والباطل فهكذا يكون القصص القرآني مؤثّرا في النّفوس، ونافعا للقلوب

[1]–أحمد موسى سالم، قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح، دار الجيل، بيروت، ص211

[2]–سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 153

[3]– العرابي لخضر، الدراسة الفنّية المعاصرة للقصّة القرآنية، ص 287

[4]– عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص78

إن لم يخرج عن مألوف حياة النّاس التي يعيشونها"[1]. ولو جاء هذا القصص على غير هذا "لما كان للناس التفات إليه، ولو أنّهم التفتوا إليه لما وقع لهم منه إلّا البلبلة والاضطراب"[2].

وهكذا اتّضحت لنا سمات القصّة القرآنية، ودورها في الهداية والإرشاد وتأثيرها في النّفوس، لما احتوته من تجارب الجماعات الإنسانية السابقة، والأمم الغابرة، وعرضها لمسيرة الأنبياء والرسل مشعل النور والضياء على مدى العصور.

ج/أنواع القصص القرآني:

كل ما ورد في القرآن من قصص لايحيد عن الحقّ، لأنّه بني على الحقائق الثّابتة الخالصة من زخرف القول وباطله، ولا يتجافى الصّدق، لأنّ لم يكن للخيال أو الوهم أو المبالغة مدخل إليه، سواء أكان هذا الصّدق واقعيّا في عرض وقائع التّاريخ وتصوير الأشخاص بما هو مطابق للواقع، أم موضوعيا في عرض نماذج لأصناف من البشر على حقيقتهم، أو أحداث إن لم تكن وقعت بالفعل، فإنّها في قوّة الأحداث الواقعة، لاحتمال أن تقع في كل حين، وذلك للاقتناع الحاصل بإمكان وجود تلك النّماذج، أو وقوع تلك الأحداث في كل عصر[3].

فنجد الدّكتور 'مناع القطان' في كتابه 'مباحث في علوم القرآن' قد قسّم القصص القرآني إلى ثلاثة أنواع:

***النوع الأول: قصص الأنبياء:** وقد تضمّن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيّدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدّعوة وتطوّرها وعاقبة المؤمنين والمكذّبين، كقصص نوح،

[1]– عمر محمد عمر باحاذق، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم،ص146

[2]– عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص73

[3]– التّهامي نقرة، سيكولوجية القصّة في القرآن ، ص156

إبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم أفضل الصلاة والسلام.

***النّوع الثّاني: قصص قرآني يتعلّق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوّتهم:** كقصّة الذين أخرجوا من ديارهم، وهم ألوف حذر الموت، وطالوت وجالوت، وبني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وأصحاب السبت،ومريم،وأصحاب الأخدود ،وأصحاب الفيل ونحوهم .

***النوع الثّالث: قصص يتعلّق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم:** كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك[1].

د/مقاصد وأغراض القصص القرآني:

"سيقت القصّة في القرآن لتحقيق أغراض دينية بحتة تجمعها غاية واحدة هي الغاية العامّة من القرآن كلّه ألا وهي الهداية بمعنى الدّلالة والبيان والتوضيح للطريق المستقيم، ولقد خضعت القصّة القرآنية في موضوعها، وفي طريق عرضها وإدارة حوادثها لمقتضى الأغراض الدّينية فهي كانت أداة له وسبيلا إليه"[2].

فمصطلح الغرض هنا "هو المقصد الذي من أجله نزلت القصّة القرآنية وهو الذي من أجله بنيت على صورة خاصة وعرضت بأسلوب خاص"[3]. وبهذا نجد أهمّ وأظهر الأغراض والمقاصد المثمرة التي سيقت من أجلها قصص القرآن وهي:

[1]–مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص302

[2]–سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص144

[3]–محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، ص 226

1-"تخفيف الضّغط على النبي صلى الله عليه وسلم وعن المؤمنين: ولقد كان هذا الضّغط قويّا عنيفا وكانت أسبابه واضحة جلية فلقد كانت أقوال المشركين وكانت أعمالهم التي يكيدون بها للنبي عليه السلام والقرآن الكريم والدّعوة الإسلامية هي السّبب في كلّ هذا الذي دفع النّبي عليه السلام إلى أن يضيق قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾[1] وقال أيضا: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الذِّي يَقُولُونَ فَإِنَّهُم لا يَكْذِبُونَ وَلَكِن الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾[2]، فكان أثر هذه الأقوال في نفس النّبي قويّا وفعالا وكذلك في نفس أتباعه، قال تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الذّينَ يَقْرَؤُونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَد جَاءَكَ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ﴾[3].

فإنّ هذا الضّغط لم يقف عند حدّ معيّن بل تجاوز ذلك إلى ما هو أبعد مدى وأنفذ أثرا حتّى صار النّبيّ عليه السلام يدعو ربّه وهو يكظم غيضه ويضغط عواطفه تلك التي أوشكت على الانفجار. قال عزّ وجلّ ﴿ فَاصْبِر لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُو مَكْظُومٌ، لَولَا أَنْ تُدَارِكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّكَ لَنُبِذَ بِالعَرَاءِ وَهُو مَذْمُومٌ﴾[4]، وقال أيضا: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِه صَدْرَكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْز أَو جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[5] فكان تخفيف هذا الضّغط أو كانت الإفاضة عمّا بنفس النّبي عليه السّلام، ونفوس الأنصار والأتباع مقصدا من مقاصد القصص القرآني حتّى لا تتزلزل النّفوس وتترك الدّعوة الإسلامية ولو حدث هذا لما قامت لها قائمة وكلّ هذا كان نتيجة لذلك الصّبر الطّويل والثّبات الذي وصل بهم في النّهاية إلى النّصر على الأعداء والمعارضين. فإنّ القرآن نفسه قد صرّح بهذا الغرض حين قال: ﴿ وكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِه فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِه الحَق

[1]-سورة الحجر، الآية 97

[2]-سورة الأنعام، الآية 33

[3]-سورة يونس، الآية 94

[4]-سورة القلم، الآيتان 48-49

[5]- سورة هود، الآية 12

وَمَوْعِظَة وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] وتتبيّن من هذه الآية الكريمة أنّ الغرض هو التّثبيت للنّبي صلى الله عليه وسلّم وموعظة وذكرى للمؤمنين"[2].

2-"توجيه العواطف القويّة الصّادقة نحو عقائد الدّين الإسلامي ومبادئه ونحو التّضحية بالنّفس والنّفيس في سبيل كل ما هو حق وكل ما هو خير وكل ما هو جميل: ولعلّ هذه العواطف هي التي تدفع إلى النّشاط للدّعوة كما تجعل الإنسان يستعذب الألم ويتحمّل الأذى في سبيلها، ومن هنا يكون التّوجيه نحو القيم الجديدة والإيمان بها ثم الدّفاع عنها والعمل على حثّ النّاس على الإيمان بها إيمانا قد لا تزعزعه الحوادث وقد لا تذهب به النّكبات، ومن أهمّ الأشياء التي حاول القرآن توجيه عواطف نحوها هي: مشكلات البعث والوحدانية، وبشرية الرسل وتأييد بعضهم بالمعجزات. أمّا الأشياء التي حاول القرآن خلق عواطف ضدّها فكثيرة ومتنوّعة نذكر منها على سبيل المثال:

أ- بخس الناس أشياءهم ، وتطفيف المكيال والميزان، والزّنا والربا، السّرقة والنّميمة.

ب- -"إبليس"- لعنه الله- فقصّة إبليس مع آدم قصّة بليغة وهي تعتبر إحدى النّماذج الأدبية

القصصية في القصص القرآني"[3]

ج- وكان من أغراض القصّة أيضا "إثبات الوحي والرسالة": فمحمد صلى الله عليه وسلم —لم يكن كاتبا ولا قارئا، ولا عرف أنّه يجلس إلى أحبار اليهود والنّصارى، يتلو على قومه هذه القصص من كلام ربه، ثم جاءت هذه القصص في القرآن- وبعضها جاء في دقّة وإسهاب- كقصص إبراهيم ويوسف وموسى وعيسى، فورودها في القرآن اتّخذ دليلا على وحي يوحى.

[1]- سورة هود، الآية 120

[2]-محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن، ص 229-230

[3]-محمد أحمد خلف الله، الفن القصص في القرآن، ص 233-234

والقرآن ينصّ على هذا الغرض نصّا في مقدّمة بعض القصص أو في ذيولها. فجاء في سورة هود بعد قصّة نوح: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ، مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾[1].

د-بيان نعم الله على أنبيائه وأصفيائه: كقصص سليمان، وداود وأيوب وإبراهيم ومريم وعيسى، وزكريا ويونس وموسى.فكانت ترد في قصص هؤلاء جميعا حلقات تبرز فيها مظاهر النّعم التي تجلّت عليهم في مواقف شتّى، ويكون إبرازها هو الغرض الأوّل، وما سواه يأتي في هذا الموضع عرضا"[2]

ه- "مقارعته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البيّنات والهدى وتحدّيه لهم بما كان في كتبه قبل التّحريف والتّبديل"[3]: كقوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّورَاةُ، قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُم صَادِقِينَ﴾[4]

و- ومن أغراض القصّة في التّربية الإسلامية:

-"تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشّيطان، وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم منذ أبيهم آدم، فإبراز هذه العداوة عن طريق القصّة أروع وأقوى، وأدعى إلى الحذر الشديد من كلّ هاجسة في النّفس تدعو إلى

الشّر وإسنادها إلى هذا العدوّ الذي لا يريد بالنّاس الخير ولما كان هذا موضوعا خالدا فقد تكرّرت قصّة آدم في مواضع شتّى"[5].

---

[1]-سيد قطب، التّصوير الفني في القرآن، ص 145-146

[2]-المرجع نفسه، ص154

[3]- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص302

[4]-سورة آل عمران، الآية 93

[5]-سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص154

ز- بيان أنّ الدّين كلّه من عند الله: وذلك من عهد نوح إلى عهد محمد عليه السلام، وأنّ المؤمنين كلّهم أمّة واحدة، والله الواحد ربّ الجميع، وكثيرا ما وردت قصص عدد من الأنبياء مجتمعة في سورة واحدة، معروضة بطريقة خاصة، لتؤيّد هذه الحقيقة، ولما كان هذا غرضا أساسيا في الدّعوة، فقد تكرّر مجيء هذه القصص، على هذا النّحو، مع اختلاف في التّعبير، لتثبيت هذه الحقيقة وتوكيدها في النّفوس، وإيضاح أسس الدّعوة إلى الله، وبيان أصول الشّرائع التي يبعث بها كلّ نبي"[1].

ح-وكذلك نجد من أهم الأغراض بيان الله ينصر أنبياءه في النّهاية ويهلك المكذّبين: وذلك تثبيتا لقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب الأمة المحمدية على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحقّ وجنده، وخذلان الباطل وأهله"[2].

ط- كما أنّ للقصّة القرآنية أغراضا أخرى متفرّقة منها:

- "بيان قدرة الله على الخوارق: كقصّة خلق آدم، وقصّة مولد عيسى وقصّة إبراهيم والطير الذّي آب إليه بعد أن جعل على كلّ جبل منه جزءًا، وقصّة "الذّي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها"، وقد أحياه الله بعد موته مئة عام، وكذلك بيان عاقبة الطيبة والصّلاح وعاقبة الشّر والإفساد كقصّة صاحب الجنّتين، وقصص بني إسرائيل بعد عصيانهم، وقصّة سدّ مأرب، وقصّة صاحب الأخدود مع بيان الفارق بين الحكمة الإنسانية القريبة العاجلة والحكمة الكونية البعيدة الآجلة كقصّة موسى والخضر"[3].

ومن هنا فالقصص ضرب من ضروب الأدب، يصغي إليها السّامع وترسّخ عبره في النّفس، فهذه الأغراض بمجملها والتي كانت تساق لها القصص تفي بدورها –لبيان الهدف- أو الغرض الذي

[1]-المرجع نفسه، ص146

[2]-مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص301

[3]-سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 155

حرّرت من أجلها وهو إثبات عقيدة البعث ودفع الشّك عنها وتوجيه النّفس إلى الله وغرس روح العبادة والخشوع.

الفصل الثاني

شخصية النّبي يوسف عليه السلام في القصص القرآني

"يوسف عليه السلام" ذلك الجوهر المكنون الذي لا يعلم حقيقة مكنوناته إلّا سبحانه وتعالى.

-فمن هو هذا "يوسف"؟ ذلك الذي تلألأ في هذه الحياة، ثمّ انتقل إلى ربّه ليتلألأ في الحياة الآخرة.

إنّه زهرة من أزاهير شجرة النور، الشّجرة الإبراهيمية، فمن هو هذا "إبراهيم" الذي كان يوسف إحدى زهراته..إبراهيم الذي جعل الله في ذرّيته النّبوّة والكتاب.

فانتقل الميراث منه إلى إسحاق ومنه إلى يعقوب ومنه إلى يوسف فهو حقّا الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم. فما هو هذا الميراث الذي ورثه يوسف عن إبراهيم؟

موجات من النور وهي اتجاه القلب مباشرة إلى الله تعالى

ذلك هو الميراث في أعلى مقاماته، وإنّ الأنبياء لا يورثون درهما ولا دينارا

هذا هو يوسف، صاحب الأصول الكريمة، فهو بلغ الغاية من كرم الأصول.

كريم في الباطن، أمواج النور مكنونة في قلبه.

كريم الظاهر، صفات الجمال ظاهرة في صورته.

فجاءت شخصيته آية من آيات الله تعالى في خلقه، ثم شاء الله تعالى أن يولد ذلك الطفل ليُظهر في عالم الشهادة، حقائق معدنه، وخفايا مكنوناته[1]

فلنتعرّف على هذه الشخصية العظيمة وتجربتها في الحياة:

[1] محمود شلبي، حياة يوسف، دار الجيل، بيروت، ص199

-يوسف عليه السلام سليل أنباء كرام وهو أحد أبناء يعقوب عليه السلام. و" يوسف اسم علم أعجمي، فهو ليس عربيا ولا مشتقا ولهذا لا نبحث عن مادة لاشتقاقه، ولا عن معناه في اللغة العربية"[1]

"ذكره الله تعالى في مجموعة من الرسل الذين يجب الإيمان بهم تفصيلا، وأثنى عليه، ووصفه بالعفّة والنّزاهة. كما أثنى عليه رسول الهدى صلى الله عليه وسلم"[2] بقوله: " إنّ الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم" رواه البخاري. فهذه شهادة عظيمة من رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم لهذه الأسرة العزيزة، الكريمة المباركة. "فيوسف عليه السلام خِيار، وهو ابن الأخيار، وقد كان الصحابة يعرفون هذا له ولأبنائه"[3].

"وقد ورد ذكر اسم يوسف في سبعة وعشرين موضعا من التنزيل الحكيم، أولها في سورة الأنعام، ضمن ذكر أسماء مجموعة من الأنبياء الذين جاءوا من ذرية إبراهيم. قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَه إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا مِن قَبلُ وَمِن ذُرِّيَتِهِ دَاوُودَ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأنعام: الآية 84) وآخرها في سورة غافر، وذلك في قصّة 'مؤمن آل فرعون' أثناء دفاع ذلك الرجل عن موسى عليه السلام، ووقوفه في وجه فرعون، حيث ذكر قومه بيوسف عليه السلام، الذي حكمهم فترة من الزمن، وانتظروا موته بفارغ الصبر"[4] قال تعالى: ﴿ وَلَقَد جَاءَكُم يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالبَيِّنَاتِ فَمَازِلْتُم فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُم بِه، حَتّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُم لَن يَبْعَثَ الله مِن بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ (غافر: الآية: 34) والباقي جميعه في سورة يوسف، التي تحمل اسمه، والتي تفرّدت بذكر قصّته من أوّلها

[1] صلاح الخالدي، القصص القرآني –عرض وقائع وأحداث، ج2، ص73
[2] أحمد نوفل، سورة يوسف، دراسة تحليلية، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1، 1989، ص131
[3] صلاح الخالدي، ج2، ص74
[4] محمد شحرور، القصص القرآني قراءة معاصرة –من نوح إلى يوسف-، دار الساقي، بيروت، ط1، ج2، 2012، ص223

إلى آخرها"[1] وهي السورة رقم 12التي تتضمّن تفاصيل قصّة هذا النبي الكريم "وترسم لنا صورة الأوضاع والعلاقات الأسرية والقبلية والعشائرية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية السّائدة في ذلك الوقت بتفصيل غير مسبوق"[2].

فهذه القصّة هي أطول قصص القرآن، "إذ تتعدّد فيها الشّخصيات، وتتلوّن الأحداث، ويجري فيها الحوار ليّنا رفيقا، وتتوزّع فيها عناصر القصّة توزيعا يتطلّبه الفرع القصصي. وقد بنبت بناءا محكما من حيث وحدة الموضوع ، وتساوق المعاني، اشترك فيها الفن و الإحساس ، فجاءت ثريّة بألوان و السّمات ، لأنها جمعت من عناصر القصّة ما تفرق في غيرها من قصص القرآن .وجاء ترتيبها للأحداث في تناسق و تسلسل "[3].أي أنّ هذه القصّة تتوفر فيها جميع مقوّمات القصّة النّاجحة.

وبهذا فإنّ قصّة يونس عليه السّلام " تمثّل النّموذج الكامل لمنهج الإسلام في الأداء النفي للقصّة ، بقدر ما تمثّل النموذج الفني الكامل لهذا المنهج أيضا"[4] أي ذلك الأداء الصّادق الرّائع بصدقه العميق وواقعيته السليمة.

إنّ القصّة تعرض شخصية يوسف – عليه السّلام- وهي الشخصية الرّئيسية في القصّة عرضا كاملا في كلّ مجالات حياتها ، بكل جوانب هذه الحياة، وبكل استجابات هذه الشّخصية في هذه الجوانب وفي تلك المجالات . كما تعرض أنواع الابتلاءات التي تعرضت لها هذه الشخصية في القصّة و هي ابتلاءات متنوعة في طبيعتها وفي اتجاهاتها

[1] المرجع نفسه، ص 224
[2] صلاح الخالدي، القصص القرآني –عرض وقائع وتحليل أحداث، ص75
[3] محمد رشدي عبيد، قصة يوسف في القرآن الكريم –دراسة أدبية-، مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 2006، ص25
[4] سيد قطب، في ضلال القرآن، ص1951

كـــابتلاءات الشّـــدة و الرّخـــاء،و ابـــتلاءات الفتنـــة بالشـــهوة، الفتنـــة بالســـلطان الفتنـــة بالانفعالات و المشاعر البشرية تجاه شتى المواقف و شتّى الشخصيات"[1]

فشخصية يوسف "شخصية فنية واضحة الصـــورة، بـــارزة المعـــالم والسّـــمات تصـــلح أن تكون نموذجا لرسم الشّخصيات وتصويرها على أحسن مـــا جـــاءت في القـــرآن"[2]. وذلـــك لأنّها تمثّل "شخصية النبي المؤيّد بتوفيـــق الله والمواهـــب اللّدنيـــة الكـــبيرة المتفوّقـــة، وتجلّـــت عظمة هذه الشخصية في كلّ مواقف القصّة التي ما غاب يوســـف عـــن مســـرح أحـــداثها في مشهد واحد"[3]. إذ هو الشخصية المحورية، والأحـــداث كلّهـــا مـــن أول القصّـــة إلى آخرهـــا تدور من حوله، وهو إمّا أن يقوم بالأحداث مباشرة، وإمّـــا أن يكـــون المحـــرّك للشّخصـــيات حتّى تقوم بما تقوم به من أعمال وأحداث.

إنّ قصّة يوسف في القرآن هي: "قصّة الشّخصية والأحداث معًـــا. فهـــي لا تســـجّل واقعـــا فحسب، ولكنّها تنتصر للقيم الإنسانية الجـــديرة بـــالخلود، إنّهـــا تنتصـــر للإيمـــان، للصّـــبر، للعفاف، للأمانة والإخلاص"[4] .فقد كان نبيّنا يوسف عليـــه الســـلام مـــثلا أعلـــى في التربيـــة والصبر والعفو، والإيمان بالله وشكره.

وشخصية يوسف شخصية نامية تنكشف لنا جوانبها وأبعادها شـــيئا فشـــيئا مـــن خـــلال المواقف والأحداث المختلفة التي مرّت بها في حياتهـــا وأحـــدثت تغـــيير في أحـــداث القصّـــة، وهي التي لا تكتمل صورتها إلّا بانتهاء القصّة.

تبرز شخصية يوسف عليه السلام من خلال أهم مراحـــل حياتـــه والـــتي بـــدأت برؤيـــا في عالم الغيب وختمت بتحقّق رؤياه في عالم الشهادة، وهذه المراحل تتمثّل في:

[1] المرجع نفسه، ص1952
[2] محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، ص132
[3] أحمد نوفل، سورة يوسف –دراسة تحليلية- ، ص132
[4] التهامي نقرة،سيكولوجية القصّة في القرآن، ص514

1-المرحلة الأولى من حياة النّبي يوسف عليه السلام (من الرّؤيا إلى حدث إلقائه في غيابات الجب).

-الرّؤيا إرهاصات علم جديد وثقافة شخصية، ميّزت يوسف عليه السلام منذ صباه، جاء في تفسير القرطبي: "أنّ يوسف كان ابن اثنتي عشر سنة عندما تحدّث عن رؤياه"[1] إذ قال لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُم لِي سَاجِدِين﴾ (يوسف: الآية4). فهو رأى في منامه حدثا عجيبا وهو أنّ أحد عشر كوكبا والشّمس والقمر قد سجدوا بين يديه.

ولقد كشف يعقوب لابنه عن جانب من تأويل هذه الرّؤيا، وأنّها تشير إلى خير كثير ينتظر يوسف، وأنّه سوف يكون له شأن عظيم. فكانت نصيحته له أن لا يخبر إخوته برؤياه، ممّا يزيد في حسدهم له فيكيدوا له كيدا ويدبّر له أمرا.

فيعقوب عليه السلام استشرف مستقبل ابنه الإيماني المشرق، فيغرس في نفس يوسف وعي لأهمية هذه المرحلة والمخاطر التي تحدّق به جرّاء هذه الرّؤيا. كما ذكّره بنعمة الله على أبويه إبراهيم وإسحاق، وكشفه له عن الوجه الجميل من رؤياه"[2]. فيقول: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ، وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأوِيلِ الأَحَادِيثِ، وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (يوسف: الآية6). فيوسف سليل أسرة العلم والحكمة فهو بالرغم من صغر سنّه أصبح على قدر من العلم والحكمة.

[1] محمد ابن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1939، ج9، ط1، ص 126
[2] صلاح الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ص80

وهنا تبرز شخصية يوسف كإنسان متفائل لمستقبله دون إظهار أيّ جانب من جوانب التّميّز على إخوته. وذلك عندما أدرك أنّه سوف يكون ذا مكانة عالية في المستقبل القريب.

ولكن بسبب شخصيته الموهوبة وحبّ أبيه الزائد والذي جعل منه ضحية وفريسة لغيظ إخوته من هذا الحب الذي حرموا منه: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (يوسف: الآية8) وهذا ما حرّك نوازع الحسد والحقد في نفوسهم، فدبّروا له مكيدة كي يخلو لهم وجه أبيهم، ولا يشاركهم أحد في حبّه وعاطفته فكانت نهاية هذه المؤامرة المشحونة بتيارات من الحقد والغيرة والأنانية والخداع إلقاء أخيهم يوسف في غيابات الجب والعودة إلى ديارهم وتركه وحيدا: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُم لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَاتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعِضُ السَّيّارَةِ إِن كُنْتُم فَاعِلِينَ﴾ (يوسف: الآية 10).

يوسف عليه السلام في هذه المحنة لم يكن وحيدا "فإن الله تعالى آنسه وواساه، وأوحى له أنّه سيأتيه الفرج والتّمكين، وسيذكّرهم بهذه الجريمة التي اقترفوها معه"[1]. وبهذا يتحقّق ما أرادوه وهو التّفرقة بين يوسف وأبيهم.

فتشف لنا هذه المرحلة من حياة يوسف عليه السلام عن نفس مؤمنة صابرة على تحمّل الشّدائد بدليل أنّه حينما رماه إخوته في الجب صبر واحتسب وعلم أنّه أمر مقدور له.

2-المرحلة الثانية من حياة النبي يوسف عليه السلام: (من لحظة استرقاقه إلى لحظة دخوله السجن).

[1] صالح الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ص81

وتبدأ حياة أخرى ليوسف، "حيث ينقله الله تعالى بحكمته من حضن أبويه، ليباع رقيقا في مصر"[1]. وذلك بعد أن عثر عليه السيارة في الجب وأخذهم له معهم إلى مصر، وبيعه هناك بثمن بخس دراهم معدودة في قوله تعالى:﴿وَجَاءَت سَيَّارَة فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُم فَأَدْلَى دَلْوَه قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً والله عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُون. وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيه مِنَ الزَّاهِدِين﴾ (يوسف: الآيتان 19-20)

فهذه الحياة تختلف في المظهر والجوهر والنّظرة للحياة ، فالأسرة التي دخلها تماما عن أسرته البسيطة، "فهو نزل في بيت تظهر فيه النّعمة والثّراء، نزل في بيت العزيز،عبدا رقيقا، فشخصيته هي التي جذبت إليه قلب العزيز وتأمل فيه خيرا وهو يقول لامرأته"[2] ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَو نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ (يوسف: الآية 21)

"وهكذا يمضي يوسف في طريقه، محفوفا برعاية الله، مصحوبا بألطافه، يزداد مع الأيام كمالا وتماما، كما يزداد الهلال كل ليلة كمالا وبهاء، حتى إذا بلغ مبلغ الرجال، فكان أعلم الرجال وأحكمهم، بما آتاه الله من علم وحكمة"[3] في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: الآية 22)

"يوسف فتى مليح الوجه، حلو القسمات، جميل الصورة إلى حدّ الفتنة والإغراء". فهذا الذي تعلّق به فؤاد امرأة العزيز حتّى درجة فقدان التّوازن.

فكانت محنته عليه السلام خطيرة وقاسية عندما راودته امرأة العزيز عن نفسه فهي افتتنت بحسّه فأحبّته وحاولت إغراءه ولارتكاب الفاحشة بإشارات، وكلمات، وتلميحات، وغلقت الأبواب.

[1] المرجع نفسه، ص82
[2] أحمد نوفل، سورة يوسف –دراسة تحليلية-، ص132
[3] محمد أحمد خلف ، الفن القصصي في القرآن الكريم، ص302

وبالرّغم من أنّ يوسف عليه السلام "كان شبابه يفيض نضارة وجمالا لكن نفسه تملؤها الخشية وقوة الإيمان والقدرة على ضبط المشاعر وكبت الغرائز وذلك لينتصر ما في قلبه من حبّ للخير وصدق في العهد وإيمان بحقّ البيت وحرمته"[1] ﴿قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (يوسف: الآية23) فهو كان فتى فاضل يحرص على الوفاء لسيّده، فيصدّ امرأته ويفرّ منها بعد أن حاصرته، وأرادته على نفسها بالغصب والإكراه، وإذا بها في هذه اللّحظة تقدّ قميصه من دبر، وتقع المفاجأة برؤية سيّدها فمكرت واتّهمته بالسّوء في قولها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَو عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (يوسف: الآية25)

ولكنّ يوسف الواعي الحصيف لم تربكه المفاجأة و لم يفقد شجاعته في مواجهته للمرأة وسيّدها ليجيب صادقا مستشهدا بقميصه المقدود من الخلف، ويجد من يؤيّده في استشهاده من أجل المرأة ذاتها"[2]في قوله تعالى﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِن أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَت وَهُو مِنَ الكَاذِبِينَ وَإِن كَانَ قَدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَت وَهُو مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (يوسف: الآية26). فيتبيّن صدق يوسف وتثبت براءته من تهمة المراودة والهمّ بالفاحشة أمام سيّده.

بعد هذه الأحداث كلّها "انتشر الخبر وشاع وذاع في أوساط الطّبقة المتحكّمة رغم محاولات العزيز في التّستّر عنه. فأصبحت القصّة حديث المدينة وموضع سخرية بين نسائها"[3]، وكان ردّ امرأة العزيز على هذا الأمر بإحضارها للنّسوة اللّائي عذلنها في حبّها لفتاها، وأنكرن عليها ذلك في مجالسهنّ الخاصّة، حيث فاجأتهنّ "بيوسف في أبهى حلله، فبهرهنّ حسنه إلى درجة أنّهن نفين عنه البشريّة لغرابة جماله وأثبتن على أنّه ملك في

[1] فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ص398
[2] أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، ص136
[3] محمود شلبي، حياة يوسف، دار الجيل، بيروت، ص58

صورة إنسان من ارتفاع وشهوة، ومجد وعظمة، وساعدها على مراودته"[1] قال عز وجل:﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي المَدِينَةِ امْرَأَةُ العَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا، إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ فَلَمَّا سَمِعَت بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَت لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَت اُخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّ رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ للهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (يوسف: الآيتان 30-31) .

فإنّ الله أراد أن يرفع يوسف ويمكّن له في الأرض وهذا شيء ممّا يتفضّل به الله تعالى عليه وهو أنّ نساء العظماء جميعا يشهدن له تلك الشهادة.

ثمّ بعد ذلك زادته عظمة إلى عظمته أمامهنّ جميعا واعترفت بعصمة بكل صراحة من دون حياء أو خجل وقالت:﴿فَذَلِكُنَّ الذِّي لُمْتُنَّنِي فِيه وَلَقَد رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَم يَفْعَل مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (يوسف: الآية32).

يدلّ هذا على "مدى ما وصل إليه جمال يوسف وأنّه جمال لا يقاوم جعل المرأة تعلن بلا استحياء أنّه رجل لا يمكن أن تقاومه امرأة في الأرض وأنّه مما يزيده إغراء للمرأة أنّه كلّما طُلب ازداد امتناعا"[2].

الموقف نفسه تكرّر مع 'يوسف عليه السّلام' فلمّا أحسّ بالفتنة وبما في نفسه من نزعات بشرية ويُخيّر بين السّجن والتّورّط في الإثم يختار فيقول:﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾ (يوسف: الآية33) فأثناء هذه المحنة التجأ فورا إلى ربّه مستنجدا ومستعينا به ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُو السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ (يوسف: الآية34)

[1] صلاح الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ص82
[2] محمود شلبي، حياة يوسف، ص64

فدخل يوسف السّجن لأنّه أجمل النّاس صورة، وأجمل النّاس أخلاقا "لأنّ ما كان من يوسف وانتصاره على جميع الفتن التي حوصر بها هو الآيات التي رأوا[1].أي من بعد ما تأكّدوا من براءته، ورأوا بأعينهم الشواهد والبراهين المؤكّدة لتراهته في قولهم:﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوا الآيَات لَيَسْجُنَنَّهُ حَتَّى حِين﴾ (يوسف: الآية35)

وبالرّغم من ذلك كلّه يبقى يوسف إنسانا ذا جسد وروح، ولكن عناية الله فوق ذلك، فقد حفظه الله وبرّأ ساحته ليبقى رمزا للعفّة والصّدق والجمال".

وذكر الدكتور 'أحمد نوفل' في كتابه وجوه عصمة يوسف وبراءته من تلك التهمة الشنيعة التي نسبها إليه من لا يعرف قدر النّبوة ولا عظمة الرّسالة، ولا صفات الأنبياء نوجزها فيما يلي:

1-"امتناعه عن مطاوعة امرأة العزيز ووقوفه في وجهها بكلّ صلابة وعزم

2- فراره عليه السلام منها بعد أن حاصرته

3- شهادة أقرباء امرأة العزيز ببراءة يوسف

4- تفضيله السّجن على ارتكاب الفاحشة

5- ثناء الله عليه في مواطن عديدة من السورة

6- اعتراف امرأة العزيز بعصمته أمام النّسوة

7-ظهور أمارات البراءة على يوسف بالدّلائل الواضحة والبراهين السّاطعة

[1] محمود شلبي، حياة يوسف، ص69

8-استجابة الله عز وجل لدعوته حين طلب من ربّه أن يصرف عنه كيدهنّ ومكرهنّ الخبيث"[1]

وبهذا تتجلّى شخصية يوسف التي تميّزت بالعفاف والسّلوك السّوي في هذه المرحلة من حياته. مضيفا كلّ ذلك إلى علمه وحكمته ليكون شخصية إنسانية متكاملة في جميع جوانبها.

3-المرحلة الثّالثة من حياة النبي يوسف عليه السلام: (من فترة وجوده في السجن إلى لحظة تحقّق الرّؤيا).

"لقد كان السجن هو الصّارف الذي صرف الله تعالى به هذا الكيد الذي راود عبدا من عباده الصّالحين، فلقد عزله هذا السّجن عزلا تاما عن موطن الفتنة وباعد بينه وبين مهابها التي تهبّ عليه منها"[2]

فيوسف البريء المتعفّف، جميل الصورة والخلق والذي أبى الفحشاء في أي صورة من الصّور، وحفظ عرض العزيز، ونفر نفورا شديدا أن يخونه فيما ائتمنه عليه، يوسف هذا يدخل السّجن ظلما.

"ويعيش يوسف في السجن مع رفقاء سجنه صابرا على هذا الامتحان الذي تعرّض له، فسرعان ما يكسب حب رفقائه، وينال ثقتهم بما يتجلّى لهم من سمو أخلاقه، وعلو نفسه، وسداد رأيه، ونفاذ بصيرته"[3]، فيرى السجناء من مسلكه الطاهر ما يجد بهم إليه فيطالبون إليه تفسير رؤاهم، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَان،قَلَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرَ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا

[1] أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، ص 151-152
[2] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص441
[3] المرجع نفسه، ص443

بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: الآية36). وشاع عنه تأويل الرؤى وقبل أن يقصّ صاحباه في السّجن كلّ رؤياه، اغتنم فرصة احترام السجناء له، وجعله موضع ثقتهم وتقديرهم وإعجابهم به لما ينبّئهم من تأويل الأحلام، وما يعلّمهم من أنباء الغيب، فأخذ يكشف لهم عن نفسه

ويدعوهم إلى عبادة الله وتوحيده: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُم يَكْفُرُونَ. وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُشْرِكَ بِاللهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ. يَا صَاحِبَي السِّجْنُ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ. مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُم وَآبَاؤكُم مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنّ الحُكْمَ إِلَّا للهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلّا إِيَّاه ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: الآيات 38-40) فهو كشف لصاحبيه عن حقيقة دينه، وعن المعبود الذي يعبده. وبعد قيامه بما عهد إليه من أمر التّبليغ والرسالة بدأ بتفسير رؤيا كلّ منهما فقال: ﴿يَا صَاحِبَي السِّجْنِ أَمّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبُّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الذي فِيه تَسْتَفْتِيَان﴾ (يوسف: الآية 41)

"فتحوّل السّجن إلى دعوة ربّانية يقوم بالدّعاية إليها نبيّ كريم وشخصية عظيمة هي شخصية يوسف ذات العزم والقوة"[1]

وفي ظلّ هذه الأحداث والصّراع بين الموت والحياة والعدل والظلم شعر يوسف بمرارة السّجن وقساوته: ﴿وَقَالَ لِلذي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ، فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ

[1] صلاح الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ص147

ذِكْرَ رَبِّهِ، فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِين﴾ (يوسف: الآية 42)، وذلك فالزّمن قد مضى دون ذكر أو انتباه ويشاء الله أن يتمّ حكمته ويرى الملك رؤيا ويطلب تفسيرها فيعجز عن تفسيرها المفسّرون، فيذكر السّاقي يوسف وموهبته في تأويل الرّؤيا"[1] فقصده: ﴿وَقَالَ الذِي نَجَا مِنْهُمَا وادّكر بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأوِيلِه فَارْسِلُونِ. يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرُ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاس لَعَلَّهُم يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: الآيتان 45-46)

شرع يوسف في تأويل رؤيا الملك لما ظهر فيها من حقائق، "لكنّه لم يكتف بتأويل الرّؤيا، بل أعطى مع هذا التّأويل التّدبير المحكم الذي ينبغي أن يكون إلى جانب ما كشفت عنه الرّؤيا من أحداث"[2] فيقول:﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُم فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُم لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ. ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ (يوسف: الآيات 47-49).

فهو قدّم لهم النّصح كاملا، وبصدق بالغ، وهذا ما شهد له به ساقي الملك: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ (يوسف: الآية46).

أحسّ الملك أنّ "ذلك التّعبير، وذلك التّنبّؤ لا يمكن أن يكون إلّا من رجل عظيم أو نبيّ كريم"[3]. فتتوق نفس الملك لرؤيته فأمر باستدعائه ليوضّح له بعض التّفاصيل: ﴿وَقَالَ المَلِكُ اِئْتُونِي بِه﴾ (يوسف: الآية50)، فبعد هذا الصّبر الطويل يأتي موعد الإفراج الذي بُشّر به يوسف عليه السلام من قِبل السّاقي، ومع ذلك يأبى الخروج إلّا بعد أن يدرك الملك براءته وحتّى يعرفه على حقيقته "لأنّ هناك أمرا عظيما ينتظره فلابدّ إذن أن تبرأ

[1] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص207
[2] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص451
[3] محمود شلبي، حياة يوسف، ص97

ساحته، ولابدّ من أن يدرك الجميع أنّه طاهر الذيل، زكي النّفس، بريء من كلّ ما وجّه إليه"[1] في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجَعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: الآية50). بعد هذا الرّد من يوسف، تولّى الملك التّحقيق في الأمر بنفسه وأرسل إلى امرأة العزيز وإلى النّسوة جميعا وسألهنّ: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ، قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾ (يوسف: الآية51﴾.

وإزاء هذا المشهد ما كان لامرأة العزيز إلّا أن تشهد له بالصّدق بعد معرفتها لخطأ نفسها واعترافها بالكيد: ﴿قَالَت امْرَأَةُ العَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُه عَن نَفْسِه وَإِنَّه لَمِنَ الصَّادِقِينَ، ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَم أَخُنْه بِالغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِين، وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسّوءِ إِلّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (يوسف: الآيات 51-53)

فيوسف عليه السلام تبيّن صدقه على أكثر من لسان بعد أن قامت الأدلّة ناطقة بعفّته ومروءته.

إذ رأى فيه الملك "الرجل الذي يجد عنده من سداد الرأي، وصدق النّصح، وحسن التّدبير، ما يقيم ملكه على دعائم قوية، فلم يسعه إلّا أن يفسح له مكانا رحيبا عنده وأن يجعله موضع ثقته وحافظ سرّه"[2]، ﴿وَقَالَ المِلِكُ ائْتُونِي بِه أَسْتَخْلِصه لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ اليَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (يوسف: الآية 54)

[1] فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ص404
[2] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص455

وقد انتهت مرحلة المحن في حياة يوسف عليه السلام وهي محنة التّآمر والرّق، ثم محنة الكيد والمراودة والإغراء،، ثم محنة الاتّهام والظّلم والسّجن، لتبدأ مرحلة الرّخاء والتّمكين والنّعم والخيرات.

"إنّ فضل الله على نبيّه يوسف عظيم وكبير، ولاشكّ فقد جمع له إلى التّأويل والتّعبير، مواهب وقدرات شتّى متنوّعة وصل فيها كلّها حدّ الكمال، ومن تلك المواهب، الشخصية القيادية الإدارية الفعّالة التي تتّصف بالأمانة والحفظ والعلم، وذلك أن الأمانة قد تلألأت في ثنايا بلائه وأمّا العلم فنابع من أنوار النّبوّة وليس وراء النّبوّة علوم، إنّه رجل كفء للمنصب"[1]. ولذلك طلب إلى الملك أن يعطيه السلطة الكاملة في إدارة شؤون الدولة: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ، إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف الآية 55).

إنّه حفيظ :يحفظ الأمانة والعهد، ويحفظ المسؤولية والمنصب فيقوم به خير مقام، ويحفظ المال والدّخل فلا يضيعه، ويحفظ الزراعة فلا يبدّدها، ويحفظ البلاد فلا يضيعها، ويحفظ الناس فلا يتركهم مع الجوع

وإنّه عليم: يملك من العلم والمعرفة والخبرة والكفاية ما يعينه على أداء هذه المهنة الخطيرة.

وهكذا أقام الملك يوسف على خزائن أرض مصر، زرعا وحصدا وادخارا واستهلاكا، وجعله 'عزيز مصر' في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَشَاء وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ للذينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُون﴾ (يوسف: الآيتان 56-57)، وبهذا حقّق الله ليوسف ما

[1] أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، ص138

قدّره له من التّمكين في الأرض وجعله ذا مكانة عالية وسلطة واسعة وأمرا نافذا في أنحائها. فاجتمع للشخصية اليوسفية كمال النّبوّة وجلال السلطة.

"وتمرّ الأيام وتبدأ السنون صعبة وقحطا وشدّة، وتكون مصر مقصد البلاد المجاورة، ففتح يوسف خزائنه في وجه الناس، فكانت من بين القوافل الوافدة إلى مصر قافلة إخوته"[1]: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُف فَدَخَلُوا عَلَيْه فَعَرَفَهُم وَهُم لَه مُنْكِرُون﴾ (يوسف: الآية58)

حيث دخلوا على عزيز مصر –يوسف- وهم لا يتوقّعون أن يكون يوسف ، فأكرمهم و لم يعرفوه، ونجد في يوسف وهو يواجه للمرّة الأولى إخوته بعدما فعلوه به ما فعلوا، سمة الضّبط والتي كانت واضحة في ضبطه لانفعالاته ومشاعره.

ومن السمات التي تجلّى بها أيضا، "سعة الحيلة وفرط في الذّكاء حيث استطاع أن يعمل الوسيلة النّاجحة لإحضار أخيه الشّقيق"[2]، وذلك بعد أن خاطب إخوته بأنه يحسن المكيال، ويكرم الضيوف ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجِهَازِهِم قَال: ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُم مِن أَبِيكُم، أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ المُنْزِلِينَ، فَإِنْ لَم تُؤْتُونِ بِه فَلَا كَيْلَ لَكُم عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُون، قَالُوا سَنُرَاوِدُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ، وَقَالَ لِفِتْيَانِه اجْعَلُوا بِضَاعَتَكُم فِي رِحَالِهِم لَعَلَّهُم يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِم لَعَلَّهُم يَرْجِعُون﴾ (يوسف: الآيات 59-62)، وهكذا ترك يوسف إخوته يعودون إلى مصر ومعهم أخوهم الصّغير بعد أن أقنعوا أباهم بذلك.

كما نجد في يوسف "قوة الفطانة وحسن التّدبير الذي تمثّل في استبقائه لأخيه بعد أن كشف له عن نفسه وأظهر له رغبته في ذلك. وقد ألهم الله يوسف طريقة مثيرة

[1] صلاح الخالدي، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ص405
[2] عمر محمد عمر باحاذق، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، ص114

للاحتفاظ بأخيه بتهمة السّرقة في الظاهر، وعقوبة الاسترقاق"[1]: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجهَازِهِم جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحلِ أَخِيه، ثُمَ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا العِيرُ إِنَّكُم لَسَارِقُون، قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَاذَا تَفْقِدُون قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ المِلكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِه زَعِيم: قَالُوا تَاللهِ لَقَد عَلِمْتُم مَا جِئنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِين، قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُم كَاذِبِين، قَالُوا جَزَاؤُه مَن وُجِدَ فِي رَحْلِه فَهُو جَزَاؤُه كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِين، فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِم قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُم اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيه﴾ (يوسف: الآيات 70-76)

فكان كيده لإخوته في المرة الأولى أن يضعهم أمام المحنة القاسية وذلك بانتزاع أخيهم من بين أيديهم، وقد أعطوا أباهم العهد بحفظه.

"نجحت حيلة يوسف حيث أنّه أخذ أخاه بحكم تطبيق الشّريعة التي كانت سائدة في تلك الفترة وهي شريعة 'يعقوب عليه السلام'"[2]، والمهم أنّ ذلك كان تدبيرا من الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ المِلكِ، إِلّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ، نَرْفَعُ دَرَجَاتِ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٍ﴾ (يوسف: الآية76).

هذا التدبير الحكيم والكيد المتين هو الذي كان له الدّور الأساس في جمع الشّمل بفضل الله.

إنّ كلّ هذا التّخطيط المؤيّد من الله عزّ وجلّ كان تمهيدا لإحضار أبويه، "فبعد أن استوفت المحنة بيعقوب أجلها، وقدّر الله أن تنقضي الابتلاءات التي نزلت به وببيته، وحنّ يوسف إلى أبويه وأهله، ورقّ لإخوته والضّرّ باد بهم، فكشف لهم عن نفسه في عتاب رقيق، وفي عفو كريم يجيء في أوانه، وكل الملابسات توحي به، وتتوقّعه من هذه

[1] المرجع نفسه، ص116

[2] عمر محمد محمد عمر باحذاق، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، ص115

الشخصية بسماتها تلك: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيهِ قَالُوا: أَيُّهَا العَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ، وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاة، فَأَوْفِ لَنَا الكَيلَ وَتَصَدَّق عَلَيْنَا، إِنَّ اللهَ يَجْزِي المُتَصَدِّقِين قَالَ: هَل عَلِمْتُم مَا فَعَلْتُم بِيُوسُف وَأَخِيه إِذْ أَنْتُم جَاهِلِون، قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ، قَالَ: أَنَا يُوسُفُ، وَهَذَا أَخِي قَد مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا، إِنّه مَن يَتِق وَيَصْبر فَإِنَّ اللهَ لَا يُضيعُ أَجْرَ المحسِنِين، قَالُوا تَاللهِ لَقَد آثَرَكَ الله علينا ، وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِين، قَالَ: لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُم اليَومَ يَغْفِر اللهُ لَكُم وَهُو أَرْحَمُ الرّاحِمِين، اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوه عَلَى وَجْه أَبِي يَأْتِ بَصِيرا، وَأْتونِي بِأَهْلِكُم أَجْمَعِين﴾ (يوسف:الاية

إنّه في هذا يعلن لهم عفوه عنهم ويدعوهم إلى فتح صفحة جديدة للعلاقة به، تخلو من الحقد والحسد واللؤم، والمكر والكيد والتّآمر، وتحكمها المحبّة والمودّة والأخوة.

"إنّه موقف كريم، لا يقفه إلّا رجل محسن كريم، وإنّه عفو وتسامح وصفح لا يقدر عليه إلّا رجل حليم متسامح"[1].

"إنّ عودة البصر ليعقوب معجزة من الله، والذي أعاد له بصره هو الله، وقدّر له أن يكون قميص يوسف هو الأداة والسبب المادي المباشر في ذلك"[2]: ﴿فَلَمَّا جَاءَ البَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِه فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَم أَقُلْ لَكُم إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُون﴾ (يوسف: الآية96)

فهذا القميص الذي أرسله إلى أبيه كان يحمل إليه الشفاء لبصره والفرحة لقلبه.

وهاهو يوسف يلقى أبويه وإخوته، ويضمّهم إليه، ويفتح لهم الطّريق إلى مصر، ويترلهم مترل الأمن والسّلامة، وحيّاهما تحية السلام والإكرام: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ

[1] صلاح الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ص 230
[2] صلاح الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ص235

آوَى إِلَيْه أَبَوَيْه وَقَالَ أَدْخُلُوا مِصْرَ إن شَاءَ اللهُ آمِنِينَ، وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى العَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَد جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَد أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِنَ البَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُو العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾ (يوسف: الآيتان 99-100)

وهكذا تحقّقت رؤيا 'يوسف عليه السلام'، وتأكّدت بشائر النّبوّة وصدق علم يعقوب. "فالرّؤيا التي رآها في صباه قد تحقّقت اليوم، إذ قد جعلها الله تعالى رؤيا صادقة، لأنّ في الرّؤى ما يصدق وما يكذب ورؤى الأنبياء لا تكون إلّا صدقا"[1]. فهي رؤيا تحقّقت رويدا رويدا ويوما بعد يوم، ومرحلة بعد مرحلة.

"فمن كان يقع في تقديره أنّ تلك الأحداث التي وقعت ليوسف، ينسج من خيوطها عرش، ويصاغ من حصاها تاج، ويولد من تصارعها ملك يجلس على هذا العرش العظيم، ويتوّج بهذا التّاج الكريم، فإنّ ذلك لا يكون إلّا من تدبير حكيم خبير، يمسك الأسباب بلطفه، ويجريها بحكمته، فإذًا هي طوع مشيئته، ورهن إرادته"[2] قال تعالى: ﴿وَعَسَى أنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُو خَيْرٌ لَكُم، وَعَسَى أَنْ تُحِبّوا شَيْئًا وَهُو شَرٌّ لَكُم، واللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُم لَا تَعْلَمُون﴾ (البقرة: الآية 216).

لقد استمرّ يوسف في شكره لله، فهو يشيد بعظمته وقدرته، ويمد يده إلى السّماء، ويأمل من ربّه أن يجزيه الحسنى في الدّار الآخرة كما جزاه بالحسنى في الدنيا"[3]: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا والآخِرَة تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِين﴾ (يوسف: الآية101)

[1] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه و مفهومه ، ص487
[2] المصدر نفسه، ص488
[3] عمر محمد عمر باحاذق، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، ص117

وبهذا الدّعاء والشّكر تختم قصّة يوسف عليه السلام، وهي القصّة التي جاءت في أوّلها ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ﴾ وجاء في آخرها ﴿لَقَد كَانَ فِي قَصَصِهِم عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾. وهذه العبرة تكمن في:

-"عبرة للملوك في بسط العدل كما بسط يوسف عليه السلام وتأمينهم أحوال الرعية كما فعل يوسف حين أحسن إليهم، وأعتقهم حين ملكهم.

- وعبرة لأرباب التقوى، فإنّ يوسف لّما ترك هواه رقاه الله إلى ما رقاه.

- وعبرة لأهل الهوى لما في إتّباع الهوى من شدة البلاء، كامرأة العزيز لما تبعت هواها لقيت ما لقيت.

- وعبرة في العفو والمقدرة كيوسف عليه السلام حين تجاوز عن إخوته.

- وعبرة في ثمرة الصبر، فيوسف صبر على ما ابتُلي به حتّى صار في أعلى المراتب"[1]

فقصّة يوسف "فيها عبرة لمن يعقل، وفيها تصديق ما جاءت به الكتب المترلة من قبل، على غير صلة بين محمد وهذه الكتب، فما كان يمكن أن يكون ما جاء به حديثا مفترى، فالأكاذيب لا يصدّق بعضها بعضا، ولا تحقّق هداية، ولا يستروح فيها القلب المؤمن الروح والرحمة"[2].

"فإنّ تأويل الرّؤيا هو بيان نهايتها العملية، وبعدها الواقعي، لأن الرّؤيا رمز نظري إلى حادث عملي مستقبلي، ووعد بوقوع ذلك الحادث في المستقبل، وقصّة يوسف عليه

[1] أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، ص588
[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، ص2037

السلام بحلقاتها ومشاهداتها ولقطاتها تقوم على رؤيا رآها طفل صغير، ترمز إلى مركز عظيم سيكون له وهو كبير، ووعد بتحقيق هذا المستقبل له"[1]

وهكذا أوصل الله يوسف إلى هذا المركز العظيم، وجاء أبوه وإخوته وسجدوا بين يديه، حيث وصل الجميع إلى هذه النّهاية السّعيدة على درب الأحزان والآلام والمصائب والمحن والابتلاءات.

[1] صلاح الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ص234

الفصل الثّالث:

الشخصيات الثّانوية في قصّة النّبي يوسف عليه السّلام

عني القرآن الكريم وقصصه العظيمة بتصوير الشخصيات ورسمها، سواء بالطريقة التّقريرية المباشرة أو من خلال الأحداث ومواجهة الشّخصية لهذه الأحداث.

وقد اهتمّت القصّة كثيرا بالبعد النّفسي الدّاخلي للشّخصية، لأنّ هذا البعد هو حقيقة الإنسان وجوهره وسرّه المكنون، ومكمن طاقاته وقدراته ومنطلق سلوكه وخوضه لغمار الحياة[1].

فالسّرد القصصي القرآني اهتمّ بالشّخصية، وذلك حين كشف لنا عن أبعاد مهمّة فيها، ورسم سمات لها تميّزها عن غيرها من الشّخصيات سواء كانت شخصية الأنبياء أو شخصيات أخرى من البشر، فكلّ شخصية لها دور بارز في القصّة.

وقصّة –يوسف عليه السلام– قصّة غنيّة بوفرة وتنوّع شخصياتها، وقد جلّى القرآن في ذهننا من خلال هذه القصّة الرّائعة كل الشّخصيات تجلية كاملة"[2]

"قام بالأدوار فيها شخصيات متباينة في السّن، وفي المكانة الاجتماعية ولكلّ منها طابعها الخاص وفق التّربية والتّجارب التّي مرّت بها، فهي واجهت مواقف كشفت عن بواطنها وحياتها الدّاخلية وقيمها ودوافعها وأبعاد نظرتها إلى الحياة"[3]

فإلى جانب عرض الشخصية الرئيسية في القصّة "نعرض الشخصيات المحيطة بها بدرجات متفاوتة من التّركيز، وفي مساحات متناسبة من رقعة الغرض، وعلى أبعاد متفاوتة من مركز الرّؤية، وفي أوضاع خاصّة من الأضواء والظّلال"[4].حيث أنّ القصّة تتعامل مع النّفس البشرية في واقعيتها الكاملة.

[1]أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، ص127
[2]المصدر نفسه، ص128
[3]التهامي نقرة، سيكولوجية القصّة في القرآن، ص514
[4]سيد قطب، في ضلال القرآن، ص1952

فهذه الشخصيات هي **شخصيات ثانوية** تظهر كمساعد للشخصية الرئيسية، كما نجدها متمثّلة في نماذج متنوّعة نذكر من بينها:

1-الشّخصيات المساعدة:

أ-**شخصية النبي يعقوب عليه السلام**:الصّابر الثّابت، الحكيم المجرّب، نافد البصيرة، قويّ العواطف، المتسامح، المتوكّل الآخذ بالأسباب.

يعقوب شخصية تمثّل "الثّبات القوي على المبدأ، والإيمان الرّاسخ العميق، والثّقة المطلقة بالله، تلك الثّقة التي لا تهتزّ حتى في أصعب اللحظات وأشدّها"[1]

وقد تجلّت ثقة يعقوب عليه السلام بالله في أكثر من موقف وذلك: "لمّا بلغه نبأ الفاجعة ووقوع المحذور بفقد أعزّ ولد عليه، بعد أن تآمر عليه إخوته لقتله وإلقائه في أرض بعيدة فكان جوابه لأبنائه: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُم أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف: الآية 18)، فهو لم يجزع جزع المريب والشّاك في قضاء الله وقدره، بل توجّه إليه مستعينا به"[2]

وممّا يدلّ أكثر على ثبات ورسوخ شخصيّة النبي 'يعقوب عليه السلام' عندما واجه صدمته الثّانية بفقده لولده الثّاني بعد يوسف، فهو لم تضعف إرادته و لم تخمد ثقته بالله تعالى حتى قال: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَت لَكُم أَنْفُسُكُم أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِم جَمِيعًا إِنَّهُ هُو العلِيمُ الحَكِيمُ﴾ (يوسف: الآية83). بالرّغم من أنّه واجه هذه الصّدمة في كبره وهرمه وضعفه وحزنه، إلّا أنّ اليأس لم يتسرّب لحظة واحدة إلى قلبه من رحمة ربّه.

[1] أحمد نوفل، سورة يوسف، ص163

[2] عمر محمد عمر باحذاق، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، ص118

فكان يعقوب ذلك العالم الحزين الذي يفيض الأسى من جوانبه فيفقده نور بصره ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (يوسف: الآية84)، وكان يملأ أوقاته لوعة وذكرى ليوسف واستحضارا متواصلا لأيّامه الحلوة معه، حتى لِيمَ من طرف أبنائه على ذكره الدائم ليوسف.

لكن تجلّي الحقيقة في قلب يعقوب "يبلغ درجة البهاء والصّفاء فذكّر أبناءه بما يعلمه من شأن ربّه وما يجده من حقيقته في قلبه"[1]﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلى اللهِ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَالَا تَعْلَمُونَ﴾ (يوسف، 86) أي أنّه كلّما اشتدّ البلاء شفت تلك الحقيقة في قلبه.

"لقد صبر يعقوب صبرا جميلا على أبنائه المتآمرين الحاقدين الكاذبين، وصبر صبرا جميلا على فقده لابنه الأثير يوسف، وصبر صبرا جميلا على ما سيواجهه ابنه حبيبه من محن وبلايا، وسيصبر صبرا جميلا على أمل اللّقاء بابنه، وإن طال الزمان"[2].

فصبره جميل بدون جزع ولا إحباط، ولا يأس ولا قنوط ولا تذمّر ولا شكوى، وهذا هو سرّ جمال هذا الصّبر.

هذا جانب من شخصيته عليه السلام، أمّا بالنّسبة للجوانب الأخرى نذكر أنّ يعقوب كان مثالا للوالد المحبّ الملهوف، والنّبي المطمئنّ الموصول"[3].كما هو "الأب الشّفيق الحذر، الحزين الصّابر، المترقّب دوما لرحمة الله، والمتفائل ثقة بالله، بانتصار الحق على الباطل، المستشف للفرج من وراء حجب الغيب في أشدّ الأزمات"[4]

[1]سيد قطب، في ضلال القرآن، ص1964
[2] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه، ص490
[3]سيد قطب، في ضلال القرآن، ص1957
[4]أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، ص163

فهذا ما جعله يحنّ إلى أولاده ويتمنّى لهم كلّ الخير، بالرّغم من أنّهم كانوا السّبب في محنته التي فقد فيها ولديه

"وهاهو يعقوب نراه بصورة المتوكّل على الله، وما يستتبع ذلك من راحة وطمأنينة نفسية لأمر الله". وهذا ما نراه عندما يوصي أولاده بدخول مصر من أبواب متفرّقة حتى لا يلفتوا الأنظار ﴿وَقَالَ: يَا بَنِيَ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ، وَمَا أُغْنِي عَنْكُم مِنَ اللهِ مِن شَيْءٍ، إِنِ الحُكْمُ إِلَّا للهِ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلُونَ﴾ (يوسف: الآية 67).

فهو إن أمرهم بأخذ الحيطة إلّا أنّه يرى أن الحكم لله نافذ"[1]. بمعنى أنّ الحذر لا يدفع القدر.

يعقوب عليه السلام يعطينا درسا بأنّ التّوكّل على الله يجب أن يصاحبه الأخذ بالأسباب، والحيطة والحذر من الأضرار، فالطبيعة في سيرها نظام تأتي فيه المسبّبات على قدر الأسباب والمؤمن هو الذي يأخذ بأسباب النّجاة مع الثّقة والاطمئنان لما قدّر الله"[2].

فالله عز وجلّ أثنى عليه كلّ الثّناء فقال: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لما عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: الآية68)

وفي آخر مواقف المحنة الطويلة 'للنّبيّ يعقوب عليه السّلام' كان قويّ البصيرة، ملهم الفؤاد وهو يشمّ ريح يوسف في قميصه، ويواجه غيظ بنيه فلا يشكّ في صدق ظنّه بربّه: ﴿إِنِّ لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا تُفَنِّدُونِ﴾ (يوسف: الآية 94)

[1] أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، ص166
[2] المصدر نفسه، ص167

هكذا تتجلّى شخصية يعقوب "بواقعيتها الكاملة في كـــلّ جوانبـــها فاتّضـــحت ملامحهـــا في قوّة إيمانه وذكائه المتّقد، وبعده عن اليأس والقنـــوط، واعتمـــاده علـــى الله عـــزّ وجـــلّ مـــع الأخذ بالأسباب، كما نلمس فيه عاطفة الأبوّة والحنان، كلّ ذلـــك ببصـــيرة مشـــرقة، ونفـــس ملهمة،

لا ريب في ذلك، فهو نبي من أنبياء الله سبحانه"[1]

شخصية يعقوب عليه السلام، إنّهـــا الشخصـــية الموحـــدة الخصـــائص والملامـــح، الواقعيـــة المشاعر والتّصرّفات، الممثّلة لكلّ واقعية ذاتها وظروفهـــا وبيئتـــها بـــلا تزويـــر ولا نقـــص ولا تحريف"[2].

[1] عمر محمد عمر باحذاق، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، ص120
[2] سيد قطب، في ضلال القرآن، ص1959

ب-شخصية ملك مصر:

ظهرت شخصية الملك في أوّل مرّة في القصّة بعد أن رأى رؤياه العجيبة والغريبة وطلب من الملأ تفسيرها وعجزوا عن ذلك.

ثم تتجلّى شخصيته مرّة أخرى في موقفه من يوسف عليه السلام عندما فسّر رؤياه وقدّم معها تدبيرا محكما، فهو هنا كان صاحب فضل، عارفا لأصحابه ومقدّرا لهذه الكفاءات.

كما كان حازما قويا في منصبه عندما حقّق مع النّسوة ومساءلتهنّ بطريقة تقريرية تدلّ على مدى قوّته وعزمه على تبيين الحق، وإقرار الحكم.

فهو كان رجلا حريصا على تقدّم مجتمعه وتقديم الأحسن له وظهر ذلك في تعيينه ليوسف في هذه المناصب المهمّة كرجل يقدر ذا الأخلاق وذا القدرات في قوله ﴿قَالَ إِنَّكَ اليَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (يوسف: الآية 54)

إنّ شخصية الملك برزت في القصّة إذ كانت من أسباب خروج يوسف من السّجن وظهور براعته ووصوله أعلى المراتب وتولّيه حكم مصر بكلّ ما اتّصف به من سمات وأخلاق.

ج–شخصية ساقي الملك:

هو من الشّخصيّات "التي أسهمت في تطوير الأحداث، ولقد لعب دورا مهمّا وإن كان مركزه الاجتماعي ليس أكثر من ساقي شراب، فالمهم هو مساهمته التي أسهم بها في وصل أمر يوسف بالملك، ونقل الخبر من يوسف إلى الملك"[1]

فهو كان من رفقاء يوسف في السّجن، كان يتميّز بذكاء وفطنة وحدّة ذهن، حيث أنّه تفطّن لإحسانه وخلقه الرّفيع في المعاملة وتهذيبه العالي ووصفه بذلك حين عرض له قضيّته فهو كان بالنّسبة له حافظ أسراره ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: الآية 36)

كما كان يتميّز بالدّقة وتمثّل ذلك في نقله لرؤيا الملك إلى يوسف لتأويلها، ويتّضح ذلك في نقل القرآن لها بذات الحروف التي نطق بها الملك، ويبدو أيضا مخلصا متلهّفا حريصا على المصلحة العامّة في قوله: ﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة يوسف: الآية 46)

[1]أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، ص220

فإنّ استنتاجه كان سليما من خلال توقّعه أنّ هذه الرّؤيا لا تهمّ الملك فقط وإنّما تتعدّى دائرته إلى الشّعب من بعده.

فلصحبة السّجن أثر ولو كانت متأخّرة فهي أعطت بركاتها وإن كانت تبطئ.

2- الشخصيات المعارضة:

أ-**شخصية إخوة يوسف عليه السلام**: من الشخصيات المهمة في قصّة يوسف شخصية أبناء يعقوب عليه السلام، "فالنّص الكريم من أوّل القصّة إلى آخرها كان يتعامل معهم كوِحدة واحدة، وشخصية واحدة، فلم يبرز منهم اسما ولا شخصا إلّا في آخر القصّة حين قال "كَبِيرُهُم إِنَّهُ لَنْ يُغَادِرَ مِصْرَ" كما كان يثبت لهم النّصّ دائما موقفا جماعيا في الحوار والمكر والغدو والرواح والدّخول وكلّ أمر، وإنّما عدّهم القرآن كذلك لتماثلهم في النّفسية والسّمات والمواقف فصاروا كأنّهم شخص واحد"[1]

فهم رافقوا أحداث القصّة من أوّلها إلى آخرها، وبالتّالي فإنّ قصّة يوسف مع إخوته تصوّر لنا الطّبع البشري الذي توجد فيه لمسات الحقد، وحبّ التّشفّي، والانتقام والمكر.

وجاء في الضّلال تصوير لشخصيّة هؤلاء الإخوة: "إخوة يوسف... والأحقاد الصّغيرة في قلوبهم تكبر وتتضخّم حتّى تحجب عن ضمائرهم هول الجريمة وبشاعتها ونكارتها وضخامتها، ثم تزيّن لهم 'المحلّل الشّرعي' الذي يخرجون به من تلك الجريمة، ملاحظا في

[1]أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، ص171

هذا واقعيتهم في بيئتهم الدّنية —وهم أولاد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم صلوات الله وسلامه- وانطباعات هذه البيئة في تفكيرهم ومشاعرهم وتقاليدهم، وحاجتهم النّفسية —من ثم- إلى مبرّر للجريمة، وإلى طريقة للتّحلّل من نكارتها وبشاعتها"[1]

فإخوة يوسف "ظلّوا ضحايا الكبت الذي عانوه، كي يخفوا رغبتهم في التّخلّص من يوسف، فكانت نتيجة هذا الكبت ومعاناته أنّهم انحرفوا بتفكيرهم، فكلّ ما كان يهمّهم تحقيقه هو أن يحولوا بين يوسف وأبيه، فاتّفقوا على قتله، وتلطيخ قميصه بالدّم، وادّعاء أنّ الذّئب أكله لّما ذهبوا يتسابقون وتركوه عند متاعهم، ولكن التّلفيق كان واضحا، ممّا جعل يعقوب لا يصدّقهم، ومن هذا فهم قد وقعوا في حالة التّبرير كما يفعل المذنب، إذ يعمد إلى تفسير سلوكه ليبيّن لنفسه وللنّاس أنّ لسلوكه هذا أسبابا معقولة"[2]

إنّ شخصية "إخوة يوسف" نفسها تتكرّر في كلّ مواقف القصّة، حتّى بعد أن تخلّصوا من أخيهم يوسف فلم يأنّبهم ضميرهم ولو للحظة واحدة.

"ونحن نجدهم —هم هم- بعد أن ذهبوا إلى مصر ليشتروا القمح من يوسف وهم يحسبون أنّه عزيز مصر، حيث دبّر الله ليوسف أن يأخذ أخاه منهم بحجّة السّرقة، فما إن يروا هذا التّدبير —وهم لا يعلمون ما وراءه- حتّى ينفجر حقدهم القديم على يوسف"[3]: ﴿قَالُوا: إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِن قَبْلُ، فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُم شَرٌّ مَكَانًا وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف: الآية 77).

ونفس الموقف تتكرّر بعد مواجهة أبيهم بالفجيعة الثّانية وهو في شيخوخته الحزينة، فما إن يروا تجد حزنه على يوسف حتّى ينفجر حقدهم القديم، دون مراعاة لنكبة أبيهم

[1] سيد قطب، في ضلال القرآن، ص1952
[2] التهامي نقرة، سيكولوجية القصّة في القرآن الكريم، ص 516
[3] سيد قطب، في ضلال القرآن، ص1953

الأليمة: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُم وَقَالَ: يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفُ وَابْيَضَّت عَيْنَاهُ مِن الحُزْنِ فَهُو كَظِيمٌ قَالُوا تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حرضًا أَو تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ﴾ (يوسف: الآية84-85)، ومثلها عندما أرسل يوسف قميصه إلى أبيه في النّهاية –بعدما كشف لهم عن شخصيته فلمّا رأوا أباهم يستنشق عبير يوسف، غاظهم هذا الاتّصال الباطني الدّال على عمق ما بينه وبين يوسف، فلم يملكوا أنفسهم أن يبكتوه ويؤنّبوه"[1]: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ العِيرُ قَالَ أَبُوهُم: إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا تُفَنِّدُونَ، قَالُوا تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ القَدِيمِ﴾ (يوسف: الآية 94-95.)

فالدّافع الأساسي وراء هذا السّلوك الذي سلكه إخوة يوسف هو الحقد أو الحسد المذموم أو الضّغينة والغيرة الآثمة، "فهي أسماء مختلفة للدّلالة على وجوه متعدّدة لدافع واحد نفسي كان السبب المباشر لوقوع أوّل جريمة"[2]

ولكن بعد هذا كلّه لا نستطيع أن ننكر أنّ شخصيّة إخوة يوسف شخصية فيها الخير الكثير لكنّها مرّت تحت ضغط ظرف معيّن قالت ما قالت وفعلت ما فعلت، "فهم لم يكونوا يقصدون من وراء القتل إشباع غريزة الإجرام، أو سرقة مال، أو الاستيلاء على نصيب من حظوظ الدّنيا، ليس ذلك كلّه ولا شيئا منه هو هدف الجريمة"[3]

فهي بعد هذه العاصفة ما تلبث أن تهدأ نفوسها وتعود إلى طبيعتها الخيّرة وتندم كثيرا على ما أقضت مضجع الوالد والأخ .

[1] المصدر نفسه، ص1954
[2] أحمد نوفل، سورة يوسف- دراسة تحليلية، ص182
[3] المصدر نفسه، ص185

وأنّ هذه الشّخصيات "قد أدخلت بتقدير الله في أتون تجارب شديدة قاسية لأجل صهرها وتخليصها من شوائب الشّر، حيث يتألّق فيها الخير من جديد وتعود كما وصفتها رؤيا يوسف في أوّلها :"أحد عشر كوكبا"[1]

إنّ سنّة الله تعالى في الكون المادي والنّفسي تبيّن أنّ حوادثه تجري وفق ناموس الأسباب والمسبّبات ولا يتعارض هذا مع الحكمة والتّقدير بل يؤكّد كلّ ذلك.

فحدوث تغيير في نفسيات إخوة يوسف، حدث لا بد له من أسباب وعلل فمن عوامل هذا التّغيير والتّطوير نذكر:

1-"فشلهم في تحقيق مأربهم والوصول إلى غايتهم، وهو قوم إنّما سعوا إلى ارتكاب جريمتهم من أجل الحصول على قلب أبيهم، وإذ بهم بعد ارتكاب جريمتهم لا يزدادون منه إلّا بعدا ونفورا وكيف يحظون بقلب الذي فجعوه بأعزّ عزيز وأحبّ حبيب.

2- أمّا العامل الثاني يكمن فيما أصابهم من قحط وجذب دام سبع سنين فأهلك زرعهم وأذاب شحمهم وأوجاع أولادهم، وأبكى صبيانهم وأطلق أحزانهم وهمومهم.

3-إنّ عامل الزمن كذلك يذهب نزق الشباب وحدّته وطيشه وخفّته وتفكيراته الهوجاء وحلوله الصّبيانية، ويعلي من النّظرة إلى الأشياء ويعدل في كثير من الأوضاع المقلوبة"[2]

فأبناء يعقوب قوم فيهم إيمان ومن منطلق أيمانهم يعلمون أن ما أصابهم من مصائب إنّما هو بما كسبت أيديهم وبما صنعوا لأخيهم فلا ريب أن يعود لهم الرّشد والوعي الغائب.

[1]الم صدر نفسه، ص187

[2]أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، ص190-191

فكان تطوّر" من نفوس معتمة بظلمة الحقد والحسد ونية الإجرام والقتل والكذب والمكر والكيد، إلى نفوس تائبة معترفة، تعرف لذي الفضل فضله وتقرّ بحكمة الله في تفضيل بعض الخلق على بعض، دون أن يحدث في النّفوس مثل نزعات شريرة أو نزعات شيطانية"[1]

فمن موقف:﴿لَيُوسُفُ وَإِخْوَتُهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَة إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِين، أُقْتُلُوا يُوسُفَ...﴾ إلى موقف: ﴿تَاللهِ لَقَد آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وإِن كُنَّا لَخَاطِئِين﴾. "فهذه مفارقة واضحة وتغيير هائل الآماد شاسع الآفاق والأبعاد"[2]

"كلّ هذه المسيرة الطويلة من السّنين والسّلسلة المتّصلة من الأحداث والمعاناة الآخذ بعضها برقاب بعض، والفشل المتلاحق، كل هذا عمل عمله في تطوير شخصية "إخوة يوسف" إلى أن غدوا كواكب كما وصفهم القرآن، وإلى أن استحقّوا أن يستغفر لهم يعقوب ربّه"[3].

وفي الأخير وبناءا على هذا كلّه فإنّ نفوس الإخوة تألّقت وَصَفَت نحو أبيهم وأخيهم يوسف وانتقلوا من منتهى التّكبّر عليه إلى منتهى التّواضع له: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ (يوسف: الآية 100).

[1] المصدر نفسه، ص192
[2] المصدر نفسه، ص192
[3] أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، ص190-191

ب- شخصية "زليخا" امرأة العزيز:

"إذا كان للمرأة مكان بارز في قصّة يوسف عليه السلام، وإذا كان دور للمرأة في تلك القصّة هو الدّور الذي يشتهيه الرّجل منها، ويشوقه الحديث الذي يعرض لوسائل كيدها، وأساليب إغرائها وشباك مغامراتها، فإنّ دورها في القصّة لم يكن مستجليا ليملأ فراغا فيه، أو ليلطف من جو المأساة التي ضمّت عليها، أو ليجدّد نشاط المتلقّي لها، وإنّما كان حدثا جاريا مع اتّجاه أحداثها، في الصّراع بين الخير والشّر، فيما بين النّاس عامّة ، وفيما بين الإنسان ونفسه خاصّة"[1]

[1] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص397

فالمرأة في القصص القرآني لا تُستجلَب لغاية غير العبرة والعظة، ولا تأخذ مكانا في القصّة إلّا حيث تكون درسا مستفادا في الدّعوة إلى الخير والعدل، والإحسان، وفي التّنفير من الشّر والبغي والعدوان"[1]

ظهرت امرأة العزيز في القصّة في عدّة مشاهد، لكنّها كانت في كلّ مواقفها ذات حضور واضح وقوي في الشّرّ والمكر وفي الخير من بعد.

نستشفّ ملامح هذه الشّخصية المهمّة في القصّة والمهمّة في تحريك الأحداث، والمهمّة في المجتمع من عدّة مواقف:

فأوّل بروز لها كان في خطاب زوجها لها حين اشترى يوسف واستشرف أن يكون طالع خير في حياة هذا البيت، وقد كان ذلك لولا التّعكير الذي أحدثته امرأة العزيز على صفو البيت."وفي قصّة يوسف تظهر في امرأة العزيز جوانب أخرى للمرأة: وهي عاشقة، وهي منتقمة لكبريائها، وهي نادمة، فإنّها لم تكد تعجب بحسنه وجمال طلعته حتى تفتن فتطغى عاطفتها على الواجب، ويستبد بها الغرام، فتراوده عن نفسه في مخدعها، فيأبى ويستعصم، فتكيد له وتتّهمه باطلا أمام زوجها ولكنّها عاشقة، فهي تخشى عليه، فتشير بالعقاب المأمون إبقاء على حبّها، وما هذا العقاب إلّا انتقاما لكبريائها، وهي التّي شذت عن طبيعة المرأة في التّمنّع، وبذلت نفسها في ذلّ لمن أعرض عنها في عزّ"[2].

من خلال هذا الموقف يتّضح أنّ امرأة العزيز كانت مثالا قويّا واضحا للإنسان الذي يملك طاقات ضخمة ويبدّدها في هوى نفسه الطاغي المدمّر فيظلم ويكيد فتصبح هذه الطّاقة بلاء عليه وعلى غيره، فقوة شخصيتها تجلّت في الباطل.

[1] المصدر نفسه، ص398

[2] التهامي نقرة، سيكولوجية القصّة في القرآن، ص 403

أمّا في موقفها الثّاني الذي كان أشدّ من الأوّل في النّكارة حيث "أنّها أظهرت تدبيرا وذكاء ودهاء في موقفها من النّسوة بعد أن زاد من مكابرتها ما انتشر من أخبار تلك المراودة، فهي نجحت في خطّتها في الإيقاع بنسوة المدينة وتصارحهم بكل ما في نفسها من حب وشهوة نحو هذا الفتى، وهي تعلم أنّهنّ لا يكتمن سرّا أبدا، معنى هذا أنّها كأنّما تعلن في المجتمع كلّه موقفها لا في مجتمع من نسوة معدودات"[1]، أي أنّها غير معترفة لا بزوج ولا أعراف ولا مكانة سياسية ولا اجتماعية ولا تقاليد.

تصوّر القصّة هذه المرأة في "صرع الشّهوة التي تعمي عن كل شيء في اندفاعها الهائج الكاسح، فلا تحفل حياء أنثويا ولا كبرياء ذاتيا، كما لا تحفل مركزا اجتماعيا ولا فضيحة عائلية، والتي تستخدم –مع ذلك- كل مكر الأنثى وكيدها، سواء في تبرئة نفسها، أو حماية من تهوى من جرائم التّهمة التي ألصقتها به، وتحديد عقوبة لا تؤدي بحياته، أورد الكيد للنّسوة من ثغرة الضّعف الغريزي الشهوي الذي تعرفه فيهنّ من معرفتها لنفسها"[2]

ونلتقي مع هذه الشخصية مرّة أخرى وذلك حين وقفت للتحقيق مع النّسوة أمام الملك بعد أن طلب يوسف ذلك، "وهذا الموقف هو الانقلاب الهائل في شخصيتها، فهو مغاير تماما لما عرفناه عنها من سيطرة الشّهوة وغياب العقل، بل نجدها هنا رمز الحكمة، والحق، والإيمان، والفضيلة"[3]

"فبعد شهادة النّسوة ببراءة يوسف من كلّ ما اتّهم به، تتقدّم امرأة العزيز فتشهد ببراءته وصدقه، وتعترف بما صدر عنها من مراودته، حرصا منها على أن يحترمها الرجل

[1] أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، ص201
[2] سيد قطب، في ضلال القرآن، ص1953
[3] أحمد نوفل، سورة يوسف، دراسة تحليلية، ص205

المؤمن بتقديره لإيمانها ولصدقها في حقّه عند غيبته، بعد أن تبيّن لها أن لا يقدّرها من أجل جمالها الجسدي"[1] فهي بهذا عبّرت عن ضعفها اليائس.

فامرأة العزيز استنارت بصيرتها وصفت سريرتها، وتطوّرت من النّقص إلى الكمال ومن السفاهة والطيش إلى الحكمة والاتّزان.

ومجمل القول أنّ الذي ينظر في قصّة يوسف نظرة واعية، يرى أنّها انتصار للخلق والفضيلة وقهر للهوى والشّهوة، فلقد انتصر يوسف في معركته مع دواعي الإغراء، وانتصرت امرأة العزيز كذلك على الهوى المبرح الذي استبدّ بها في أوّل الأمر، وانتهى بها الحال إلى أن تكشف عن ضعفها، وأن تعترف بخطئها، وأخيرا نجد إخوة يوسف وقد انكشف لهم ما كانوا فيه من ضلال، وما اشتدّ بهم من غيرة وحسد فيرجعون تائبين نادمين.

وهكذا تكشف القصّة عن ضعف الإنسان وعن قوته في حالٍ معا. "فالإنسان ضعيف إذا استسلم لهواه، وأعطى زمامه لنفسه الأمّارة بالسّوء، وهو قوي قوى، إذا رجع إلى سلطان عقله، واستمع إلى وحي ضميره وعرف قدر إنسانيته، واستشعر أنّه خليفة الله في الأرض، وأنّه إنّما خلق ليسود ويحكم، وأنّه لن يسود ويحكم إذا كان عبدا لأهوائه، وليّا لشهواته، وأنّه يسود ويحكم إذا حكم أهواءه واستعلى على دواعي شهوته"[2] قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالحَاتِ فَلَهُم أَجْرٌ غَيْرُ ممنُون﴾ (التين: الآية 4-5-6)

[1] التهامي نقرة، سيكولوجية القصّة في القرآن، ص205

[2] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص490

إنّ قصّة يوسف سمّيت بأحسن القصص لأنّها القصّة الوحيدة التي بدأت بحلم وانتهت بتحقيق هذا الحلم وكأنّ الله سبحانه وتعالى يخبرنا بأن نتمسّك بأحلامنا، فيا رب نسألك أن تحقّق كلّ ما تتمنّاه قلوبنا.

فالعبرة التي أخذناها من قصة يوسف عليه السلام هي أنّهم أرادوا قتل يوسف فلم يمت، وتمّ بيعه ليكون عبدا فصار ملكا، فلا يجب أن نحزن من مكر وتدبير البشر علينا أن نطمئنّ فإرادة الله سبحانه وتعالى فوق إرادة الجميع.

خاتـــمة

خاتمة:

بعد إنهائنا لهذه الدّراسة توصّلنا إلى بعض النّتائج القيّمة التي أردنا أن نتوّج بها هذا البحث الأكاديمي والمتمثّلة في:

1- يمتاز أسلوب القصّة القرآنية بالدّقّة في اختيار الكلمات التي تحمل دلالات عميقة، وتعبّر عن أحداث كبيرة، فهو أسلوب فريد في عرض الأحداث والوصول إلى الغاية بأقلّ الألفاظ وأغرز المعاني.

2- أنّ القصص القرآني مجال خصب للتّوجيهات والإرشادات، وإبراز القيم الدّنية السّامية التي تحتاجها الإنسانية والبشرية في حياتها.

3- اتّضحت لنا سمات القصّة القرآنية، ودورها في الهداية والإرشاد وتأثيرها في النّفوس، لما احتوته من تجارب الجماعات الإنسانية السّابقة، والأمم الغابرة، وعرضها لمسيرة الأنبياء قادة ركب الحضارة وحملة مشعل النّور والضّياء.

4- لقد وجدنا أنّ القصّة القرآنية قد احتلّت مساحة واسعة في اهتمامات وجهود الكتّاب والمؤلّفين وذلك من خلال اهتمام القرآن الكريم بها والتّأكيد عليها كوسيلة من وسائل الدّعوة.

5- قصص القرآن الكريم قصص حقيقية واقعية، و لم تكن أمثلة على شخصيات خيالية، بل أنّها ترسم الشّخصيّات بكلّ ملامحها وسماتها في رصد خواطرها وانفعالاتها.

6- تعتبر الشخصية من أهمّ مقوّمات العمل الأدبي، إذ تشكّل بناؤه وتحكم نسيجه وتحرّك أحداثه، فهي العنصر الأساسي وبمثابة القلب النّابض في أيّ عمل أدبي.

7- الشّخصيّة القرآنية صاحبة رسالة يملأ قلبها الأمر العظيم، والهدف النّبيل.

8- جاءت قصّة يوسف عليه السّلام قمّة في التّوجيه والهداية وخير مثال في تصوير الشّخصيات وإبراز دورها.

9- قصّة يوسف أحسن القصص انتقاء واختيار، وأنّه أحسن القصص نظما وترتيبا، وتفصيلا وتبويبا، وأنّه أحسن القصص شهادة صدق وبرهان حق، وأنّه أحسن القصص حكما وأحكاما.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد أسهمنا ولو بالقليل في إلقاء الضوء على "بناء الشخصية في القصص القرآني" ونحمد الله على إتمام هذه المذكّرة، فإن كنت أصبت فما توفيقي إلّا بالله العلي العظيم، وإن كنت أخطأت فمن الشّيطان ومن نفسي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم من رواية ورش

1- المصادر:

1. محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط1، ج9، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1939
2. التهامي نقرة، سيكولوجية القصّة في القرآن، الدار التونسية للنّشر والتوزيع، تونس، 1974
3. جان بياجيه، البنيوية، تر: عارف منيمة وبشير أوبري، ط4، منشورات عويدات، بيروت-باريس، 1985
4. أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، ط7، دار الكاتب العربي، القاهرة
5. عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ط2، دار الطباعة للنشر والتوزيع، 1975
6. أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مكتبة لبنان، بيروت،1987
7. محمد يوسف نجم، فن القصة، ط5 دار الثقافة، بيروت، 1966
8. محمد تيمور، فن القصص، ط2، دار الهلال، مصر،1948
9. محمد زغلول سلام، دراسات في القصة العربية الحديثة، منشأة المعارف، الإسكندرية

2- المراجع:

1. أحمد محمد عبد الخالق، الأبعاد السياسية للشخصية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992

2. أحمد موسى سالم، قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح، دار الجيل، بيروت
3. أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، ط1، دار الفرقان، عمان، الأردن، 1989
4. بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن الكريم، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 2004
5. تزفيطان تودوروف، مفاهيم سردية، تر:عبد الرحمان مزيان، ط1، منشورات الاختلاف، 2005
6. جمال شحيد، في البنيوية التكوينية، دراسة في منهج لوسيان غولدمان، دار ابن رشد، بيروت، 1986
7. خالد أحمد أبو جندي، الجانب الفني في القصة القرآنية- منهجها وأسس بنائها، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة
8. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1990
9. سامية حسن الساعاتي، الثّقافة والشّخصية، ط4، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002
10. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ط7، دار الشروق، القاهرة وبيروت، 1982
11. سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة.
12. سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، القاهرة
13. سيد محمد غنيم، سيكولوجية الشخصية، دار النهضة العربية، القاهرة
14. صلاح الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ج2

15. صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1998

16. عبد الله الغذّامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التّشريحية، ط6، المركز الثّقافي العربي، المغرب، 2006

17. العثيمين محمد صالح، أصول في التفسير، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، 2008

18. العرابي لخضر، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2005

19. عمر محمد باحاذق، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، ط1، دار المأمون للتراث دمشق، بيروت، 1993

20. فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، مفاتيح الغيب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000

21. فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ط1، دار الفرقان، عمان، الأردن، 1987

22. فيصل عباس، أساليب دراسة الشخصية، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990

23. محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم مع شرح وتعليق خليل عبد الكريم، ط4، دار سيناء للنشر، 1999

24. محمد السمرة، في النقد الأدبي، ط1، الدار المتحدة للنشر،1974

25. محمد السيد عبد الرحمان، نظريات الشخصية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998

26. محمد دالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، ط1، مون للطباعة والتجليد، 2001

27. محمد رشدي عبيد، قصة يوسف في القرآن –دراسة أدبية، ط2، مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع، الرياض، 2006

28. محمد شحرور، القصص القرآني قراءة معاصرة –من نوح إلى يوسف-، 12، ج2، دار الساقي، 2012

29. محمود شلبي، حياة يوسف، دار الجيل، بيروت

30. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ط7، مكتبة وهبة، القاهرة، 1995

31. وصفي عاطف، الثقافة والشخصية ومحدداتها الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981

3- المعاجم:

1. إبراهيم مصطفى وغيره،المعجم الوسيط، ج1، دار العودة

2. ابن منظور، لسان العرب، تح عبد الله علي وآخرون، م5، ج41، دار المعارف، القاهرة

3. ابن منظور، لسان العرب، تح عبد الله علي وآخرون، مج1، ج5، دار المعارف، القاهرة،

4. ابن منظور، لسان العرب، مج4، ج24، دار المعارف، القاهرة

5. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، ج5، دار الفكر، بيروت، 1979

6. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تجديد الصحاح في اللغة والعلوم، دار الحضارة العربية، بيروت

7. محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج1، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999

8. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح عبد الكريم العزباوي، الكويت، 1979

4- الرسائل الجامعية:

1. خالد سليمان عيد الدويلات، الشخصية في القصص القرآني، رسالة ماجستير، إشراف أ.د عفيف عبد الرحمان، جامعة اليرموك، 1991

2. محمد نمرة، التّأثيرات الأدبية الغربية في الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض- البنيوية أنموذجا-، إشراف أحمد عزوز، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2011

3. نورة بنت محمد بن ناصر المري، البنية السردية في الرواية السعودية، رسالة دكتوراه، إشراف محمد صالح بن جمال بدوي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2008

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات:

إهداء

شكر و تقدير

مقدمة.....أ-ب-ج-د-ه

الفصل الأوّل: بنية الشّخصية في القصص القرآني

1-بنية الشّخصية.....03

-مفهوم البنية.....03

-مفهوم الشّخصية.....07

-الشخصية في القرآن الكريم.....12

2-القصص القرآني.....19

-مفهوم القصة في اللغة والاصطلاح.....19

-مفهوم القصّة في القرآن الكريم.....23

-أنواع القصص القرآني.....29

-مقاصد وأغراض القصص القرآني.....30

الفصل الثّاني: شخصية النّبي يوسف عليه السلام في القصص القرآني

-المرحلة الأولى: من الرّؤيا إلى حدث إلقائه في غيابات الجب.....40

- المرحلة الثّانية: من لحظة استرقاقه إلى لحظة دخوله السّجن.....41

-المرحلة الثّالثة: من فترة وجوده في السّجن إلى لحظة تحقّق الرّؤيا.....46

الفصل الثّالث: الشّخصيات الثّانوية في قصّة يوسف عليه السّلام

1-الشّخصيات المساعدة.....59

-شخصية يعقوب عليه السّلام.....59

-شخصية ملك مصر.....63

-شخصية ساقي الملك.....63

2-الشّخصيات المعارضة.....65

-شخصية إخوة يوسف.....65

-شخصية زليخا امرأة العزيز.....70

خاتمة.....75

قائمة المصادر والمراجع.....78

فهرس الموضوعات.....84

الملخص:

يعالج هذا الموضوع الذي جاء تحت عنوان: "بنية الشخصية في القصص القرآني- قصّة يوسف عليه السّلام أنموذجا-" أهمّ العناصر الموجودة في القصّة وهي بنية الشّخصية باعتبارها المحرّك الرّئيسي والمحور الفعّال الذي يقوم عليه نجاح القصّة.

الكلمات المفتاحية:

البنية- الشّخصية- قصّة يوسف عليه السّلام- القرآن الكريم

Résumé :

Le sujet de la structure de caractère dans l'histoire du Coran aborde « l'histoire de Joseph la paix soit sur lui »,comme un modèle des éléments les plus importants de l'histoire, à savoir, la structure de la personnalité comme moteur principal et l'axe éfficace sur lequel le succès de l'histoire.

Mots clé :

Structure- personnalité- l'histoire de Joseph « la paix soit sur lui »- Coran

Abstract :

The subject of the structure of character in the stories of the Qur'an adresses the story of « Joseph peace upon him » as a model of the most important elements of the story , namely, the structure of personality as the main engine and the effective axis on whitch the success of the story.

Key words :

Structure- personality- the story of Joseph « peaceuponhim »- Qur'an